



أوشو
OSHO

الإبداع

إطلاق العنان لقدراتنا

إعداد: مريم نور

الطبعة
الثامنة



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

الإبداع
(إطلاق العنان لقدراتنا)
أوشو

إعداد: مريم نور
حصرياً لقناة [د. حازم مسعود](#) على تيليجرام

إِهْدَاءُ النُّسخَةِ النَّصِيَّةِ الْمُحوَّلَةِ

إلى المكفوفين، المناضلين لأجل القراءة..

إلى عموم القراء الشغوفين..

ببصيرتكم نستتير، وبشغفكم نسير.

نهديكُم جميعًا هذا الكتاب، عسى أن يكون إضافة مفيدة لبنائكم الفكري والروحي، وأن تكونوا نبراسًا للعالمين.

ونسأل الله أن يتقبَّل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به العالمين من كل كفيف وذوي الأبصار. وعسى أن تشملنا نواياكم الصالحة ودعواتكم الطَّيِّبَةِ، المُستجابَةِ بإذنه سبحانه جَلَّ عَلاه.

ونسأله أن يرزقنا جميعًا جَنَّةَ الدنيا والآخرة، وأن يهدينا وإياكم سَوَاءَ السَّبِيلِ، صراطه المستقيم. فعسى ربِّي أن يهدينا لأقرب من هذا رشداً.

المُحمَّدِين

مقدمة: في الإبداع

أيها المُبدِع... من هو المبدِع؟ من هي المبدِعة؟ ما هو الإبداع؟ ماذا فعلنا حتى الآن؟ هل نحن أتباع؟ نتبع من؟ الله هو الخالق، ونحن المخلوق من الخالق... ماذا فعل هذا الكائن؟ الحقيقة تقول... أنت خليفة الله... وفيما انطوى العالم الأكبر... ماذا فعلنا؟ حروب ودمار واغتصاب وكبت وانفلات وشهوات وإلى ما هنالك، على الشاشات وعلى الطرقات وفي الشوارع وشريعة أهل الغاب.. هل هذا هو إبداع الانسان؟ إبداع السعدان فيه سعادة وإنسانية ورحمة أكثر من الإنسان؟ الطبيعة لا تزال طبيعية وجميلة إلا... إلا الإنسان الذي دخلها وهربت منها الحيوانات... ننطح السماء بالأبراج ونزرع الألغام بالأنغام ونعيش الفجور مع الفجر، والعصر مع العهر، والمغرب مع الحرب وإلى أين الدرب؟ أين أنت يا جبران ويا نُعَيْمة ويا جن بلاط ويا أولياء هذه الأمة؟ أين إبداع العشاق ولمسة الحكماء وعلم العلماء؟ نعم... معكم حق... كما تكونون يولّى عليكم...

إن حضور الله في قلوبنا هو الإبداع الإلهي من خلالنا... ولكن أين نحن من هذه الحضرة؟ إن التدبّر هو الخطوة الأولى في الإبداع... الدين لله وهو الأقرب إلينا من جميع ما نرى أو نعمل... الإنسان هو أجمل صورة وأحسن تقويم وماذا نفعل بهذه الأمانة؟ هل عندك العطش والشوق إلى الإبداع؟ هذه هي الخطوة الأولى والله يمسك بيدك ويرسم ويكتب ويفعل ما يشاء... الرسم والغناء والشعر والرقص والبناء. وكل عمل عبادة... هذا هو الإبداع... هذا هو الابتكار هو الأسرار.. أنت سرّ الله... فعين الله ترعانا... الراقص غير موجود ولكن الرقصة موجودة...

الرسام غير موجود ولكن الرسمة موجودة... هذا هو الوجود وأنت الشاهد على هذه الأسرار... هذه هي الصلاة... إنك أنت الموصول بالأصول... لا معبد ولا هيكل ولا مسجد... أنت الساجد أينما كنت... عمالك هو العبادة وهو المشاركة في الإبداع... ظل عبدي يتقرّب إليّ حتى صرّت عينه وسمعه ويده.. وهذا ما عاشه الأنبياء والأولياء والحكماء وأهل الله في جميع الطرق والعبادات...

عندما تشعر بأي عمل أو أي خطوة باتجاه الإبداع فإنها دعوة من الله... إنك الموصول مع الوجود ومعاً سنتابع طريقة الجمال والإبداع... أنظر إلى الأطفال.. واستمع إلى الحكماء... وصوّر في الأرحام جمال المخلوقات واشكر الخالق على هذه الأسرار التي انطوت فينا... وامسك بالقلم أو بالريشة أو بالأوتار وخاطب الأسرار التي في الصدور... لتتجاوز مع الخالق.. مع المبدِع ولنصغ بهذا الصمت الساكن في سكينة الألم التي نحيها... نعم... الإبداع مشقّة.. نشقّ طريق الصعود ونواجه جهل الهبوط... ولا إبداع إلا بمشاركة العابد مع المعبود... لقد وصلنا إلى نقطة اللارجوع... الطبيعة بحاجة إلى أهل الحب وأهل الفن... لا نستطيع أن نواكب أهل الحرب... رحلة الدمار غير رحلة العمار... رحلة الأنا غير رحلة الفناء...

الإبداع الروحي غير الذي نراه اليوم ومنذ التاريخ وحتى الغد... وحده المتدين والمتأمل والعاقد
يشارك الله بدون شرك.. الإبداع يسير من سير القلوب العاشقة للمبدع الواحد الأحد... صلتنا بالله
أن نكون عبده وعبّاده... هو الذي يساعدنا ويلهمنا ويرشدنا للكتابة والقراءة... لنساهم معًا في
زرع شجرة وفي إمطة الأذى من قلوبنا ومن دروبنا... لنرفع صوتنا عاليًا ولنصغ إلى هذا
الصوت الآتي من بعيد... من صدى الجبال ومن حبالنا الصوتية المتصلة بالصامت الأكبر
وبالصوت الذي لا ينام... وكما كتب الطفل على الحائط قائلاً ومذكّرًا...
إنّ الله لا يملك غير يدينا ليكتب ويعمل كل الأعمال وليحب كل الحب وليرى كل
الجمال... لتتعلم الإبداع من براءة الأطفال ولنترك الماضي والمستقبل ولنبدع في عيش الآن
ويقظة اللحظة...

مريم نور.

تمهيد: شذا الحرية

الإبداع هو أعظم ثورة في تاريخ الوجود. وإذا أردت أن تكون مبدعًا وخلاقًا يجب أن تتخلى عن كل ما اكتسبته عبر التطبيع؛ وبغير ذلك لن يكون إبداعك سوى نسخة مطابقة لعملٍ سابق. ويمكنك أن تكون مبدعًا فقط عندما تتخلى بالفردية والاستقلالية. ولا يمكنك الخلق إذا كنت جزءًا من مجموعة. ذلك أن السلوك الجماعي غير خلاق؛ وهو لا يعرف الرقص أو الغناء أو الفرح؛ إنه ألي.

لا يمكن للمبدع أن يتبع طريقًا يسلكه الجميع. عليه أن يبحث عن طريقه الخاص، وعليه أن يبحث عنه حتى في الأدغال. يجب أن يسلكه بمفرده؛ ويجب أن يبتعد عن العقل الجماعي. فالعقل الجماعي هو في أدنى مستويات العقل. حتى أن عقول الحمقى تتفوق عليه. ولكن للعقل الجماعي وجهًا إيجابيًا: إنه يكرم الناس ويكافئهم عندما يتصرفون وفقًا لتعاليمه.

كان من أحكام الضرورة أن يتخلى المبدعون من جميع الأنواع: الرسامون، الراقصون، الموسيقيون، الشعراء، النحاتون، عن مظاهر الاحترام. كان عليهم أن يعيشوا حياةً بوهيمية، حياة ارتحال دائم؛ وكانت تلك الوسيلة الوحيدة التي تمكنهم من أن يكونوا مبدعين. وهذا لا يعني أنّ الحال يجب أن تبقى كما هي عليه في المستقبل. وإنما يجب أن يحيا كل شخص حياة فردية مستقلة دون أن يلجأ إلى حياة الترحال التي هي نتاج جانبي للحياة التقليدية المحافظة.

إنني أحاول أن أقضي على العقل الجماعي وأحرر كل فرد من أفراد المجتمع من قبضته. عندها لن تكون هناك أي مشكلة؛ وسيتمكّن كل فرد من أن يحيا الحياة التي يريدّها. والواقع أنّ الإنسانية لن تولد فعلاً قبل أن يتحرر الإنسان، قبل أن يحصل على حريته المطلقة ويحيا حياته دون تدخل من قبل أي كان. وأنا أعتقد أن الإنسانية لم تولد بعد، وأنها لا تزال في الرحم.

في الماضي كان الكلّ يتدخل في شؤون الغير - حتى في الأمور الخاصة التي لا علاقة لها بالمجتمع - على سبيل المثال، عندما تقع في حب امرأة، ما شأن المجتمع في ذلك؟ إنه أمر شخصي لا علاقة للمجتمع به، وليس له أن يتدخل فيه. ولكنه يتدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يتدخل الشرطي، وكذلك القاضي. وإذا لم يكن ذلك كافيًا، فإن المجتمع يوكل إلى الله شأن مراقبتك.

إن الجنس البشري يحتاج إلى تربة جديدة، تربة الحرية. لقد كانت البوهيمية ردة فعل اقتضتها الظروف الاجتماعية، ولكن إذا لاقت وجهة نظري النجاح فلن يكون هناك أي عقل جماعي ليسيّط على الناس. عندها سيشعر كل فرد بالارتياح. ولن يتدخل أحد في أمورك، ولا في أمور الآخرين. عندها فقط سيُفسح المجال للخلق والإبداع. فالإبداع هو شذا الحرية.

إنّ الشخص المبدع الخلاق هو إنسان يتخلى بالبصيرة، وهو الذي يمكنه أن يرى أشياء لم يرها أي شخص من قبله، ويسمع أشياء لم يسمعها أي شخص من قبله.

لنهى التربة الصالحة

عندما تنتهي الحالة المرضية، يصبح كل شخص مبدعاً. وهناك أمر يجب أن ندركه بوضوح وهو أن المرضى فقط يمارسون التدمير، أما الأصحاء، فهم مبدعون. والإبداع هو دليل الصحة. وعندما يكون الشخص مُعافى ومتكاملاً، تبرز فيه روح الإبداع.

الأبعاد الثلاثة

وصلت الإنسانية الآن إلى مفترق طرق. فقد عاش الإنسان حتى الآن حياةً أحادية البعد. وبتنا نحتاج الآن إلى إنسان أكثر غنىً، إلى إنسان ثلاثي الأبعاد. البعد الأول هو الوعي، والبعد الثاني هو المحبة، والبعد الثالث هو الإبداع.

إن الوعي هو الوجود، والمحبة هي الأحاسيس، والإبداع هو الفعل. ورؤيتي للإنسان الجديد تتضمن هذه الأبعاد الثلاثة في آنٍ. وإنني أجابك بأكبر تحدٍ ممكن، بأصعب مهمةٍ يطلب إليك القيام بها. وهذا التحدي يتطلب منك أن تكون تأملياً ومحباً بقدر الحكماء، وخلاقاً بقدر مايكل أنجلو، وليوناردو دافينشي. يجب أن تكون جميع هؤلاء الأشخاص في آنٍ. عندها فقط يمكنك أن تحقق كليتك؛ وخلاقاً لذلك ستشعر دوماً أن شيئاً ما يفتقد وهذا ما يفتقد غير متوازن وغير قادرٍ على تحقيق آمالك. يمكنك أن تبلغ قمة عالية إذا كنت أحادي البعد. ولكنني أريدك أن تصبح سلسلة قمم جبال الهملايا بأكملها، وليس قمة واحدة.

لقد فشل الرجل الأحادي البعد. لقد فشل في خلق الجنة على الأرض. لقد فشل فشلاً ذريعاً في رفع مستوى الوعي الإنساني. إن بعض الأشخاص هنا وهناك أصبحوا منتوّرين وهذا غير كافٍ. نحن بحاجة إلى مزيدٍ من الأشخاص المنتوّرين الثلاثي الأبعاد.

لم يكن الحكيم شاعراً، ولكنّ الإنسان الذي سيصبح حكيمًا الآن، سيكون شاعرًا. عندما أقول شاعرًا لا أعني أن عليك أن تنظم الشعر، بل أن تكون شاعرًا. يجب أن يكون توجّهك في الحياة شاعرًا.

المنطق جاف، والشعر مليء بالحياة. والشخص المنطقي لا يستطيع أن يرقص. هذا أمر غير ممكن. هل يمكننا أن نتخيل المهاتما غاندي وهو يرقص. سوف يبدو بمنتهى السخافة. ولكن الإنسان الشاعري يستطيع الرقص؛ والشعر هو رقص على إيقاع نبضات القلب. كذلك لا يستطيع الشخص المنطقي أن يحب؛ يمكنه التكلّم عن الحب ولكن ليس بإمكانه أن يحب. وحده الإنسان الشاعري يستطيع أن يحب.

المنطق بارد، في منتهى البرودة؛ يمكن الاستفادة منه في حقل الرياضيات ولكن ليس في حقل العلاقات الإنسانية. وإذا تغلب المنطق على الإنسان، فإن الجنس البشري قد يغدو مهددًا بالزوال؛ ولن يكون هناك سوى أرقام يمكن استبدال بعضها ببعضها الآخر. الشاعرية والحب والمشاعر تُضفي عليك العمق والدفء.

تجعلك أكثر إنسانيةً. ولا شك في أن الحكيم هو إنسان خارق، ولكنه خسر بعده الإنساني. إنه غير دنيوي. وجماله يكمن في كونه غير دنيوي؛ ولكنه لا يمتلك جمال زوربا اليوناني Zorba the Greek، زوربا هو دنيوي للغاية. وأودّ أن تكون أنت مزيج من الاثنين، زوربا اليوناني وزوربا البوذي Zorba the Buddha. يجب أن يكون الإنسان تأملياً، ولكن من دون أن يحارب مشاعره. يجب أن يكون تأملياً وأن يفيض بالحب والمشاعر والإبداع. ولكن إذا اقتصر حبك على المشاعر ولم يقترن بالفعل، فإن أثره سيكون محدودًا على الإنسانية. يجب أن يكون الحب حبًا حقيقياً متجليًا بالأفعال.

هذه هي أبعادك الثلاثة: الوجود والحب والفعل. الفعل يحتوي على جميع أنواع الإبداع - الموسيقى، الشعر، الرسم، النحت، الهندسة، العلوم- ويحتوي على كل ما هو جمالي. والوجود يحتوي على التأمل والوعي.

استرخِ وأنت تقوم بأي عمل

أولاً، يجب أن نفهم طبيعة النشاط السلوكي والتيارات المخبأة في داخله؛ وخلافاً لذلك تستحيل إمكانية الاسترخاء. إذا لم تراقب وتتحرّق من طبيعة نشاطك السلوكي، لا يمكنك أن تسترخي حتى لو أردت ذلك، لأن النشاط السلوكي هو ظاهرة معقدة. كثير من الناس يودّون الاسترخاء ولكن لا يستطيعون ذلك. فالاسترخاء كفتح البراع، لا يمكنك أن ترغمها على التفتح. ويجب أن نفهم الظاهرة بكليتها، أن نفهم لماذا أنت في حالة نشاط سلوكي بصورة دائمة، لماذا أنت منشغل ومهوس بالنشاط السلوكي.

تذكر هاتين الكلمتين: الفعل Action والنشاط السلوكي Activity. إن الفعل يختلف عن النشاط السلوكي؛ وطبيعة كلٍ منهما متناقضة مع الأخرى. الفعل هو عندما تستجيب بناءً لمتطلبات الظرف أو الحالة. أما النشاط السلوكي فيعني التصرف بمعزلٍ عن الاستجابة لمتطلبات الظرف أو الحالة. كأن تكون بحالة اضطراب في ظرفٍ معيّن وتقوم بنشاط سلوكي لا يتطلبه هذا الظرف.

الفعل هو نتاج عقل صامت، إنه من أجمل الأشياء في الدنيا. والنشاط السلوكي ينتج عن عقل مضطرب، إنه من أبشع الأشياء. الفعل له صلة وثيقة بالظرف أو الحالة، وهو آني وعفوي. والنشاط السلوكي ليس له علاقة بالحالة الآنية، ويحمل في طياته ترسبات الماضي. الفعل هو عمل خلاق. والنشاط السلوكي هو عمل مدمر. إنه يدمرُك ويدمرُ الآخرين.

حاول أن ترى الفرق بين الاثنين. على سبيل المثال، أنت جائع ثم تتناول الطعام، هذا فعل. ولكن أنت غير جائع على الإطلاق ومع ذلك تتناول الطعام. هذا نشاط سلوكي. تناول الطعام بهذه الطريقة هو نوع من العنف: كل ما تفعله هو طحن الطعام لأن ذلك يريحك من بعض اضطراباتك الداخلية. أنت تأكل ليس بسبب الجوع، أنت تأكل بسبب حاجة داخلية لممارسة العنف.

في عالم الحيوان، يتمثل العنف بالفم واليدين، تشترك الأظافر والأسنان معاً في عملية الأكل؛ عندما تأكل تمسك الطعام بيدك وتأكله بفمك - وهذا يحزّر العنف الذي يغلي في داخلك. وعندما تكون غير جائع، لا يعود هذا السلوك فعلاً، بل يصبح مرضاً، نوعاً من الهوس. بالطبع لا يمكنك تناول الطعام بصورة متواصلة وإلا فإنك ستنفجر من كثرة الأكل. ولهذا السبب اخترع الإنسان مضغ التبغ أو العلكة وتدخين السجائر. إنها طعام مزيف لا يحتوي على أي قيمة غذائية، ولكنه يفي الغرض بالنسبة لتحريرك من الحاجة لممارسة العنف.

عندما يجلس أحدكم ويدخن سيجارة ماذا يفعل؟ من الناحية الظاهرية يبدو هذا النشاط بريئاً وغير مضر. كل ما تفعله هو تنشق الدخان إلى الداخل ثم إطلاقه إلى الخارج - وهذا نوع من التأمل الوجداني. من خلال التدخين تخلق نوعاً من الغناء الإيقاعي. وهذا يشعرك بالراحة ويخفف من حدة قلقك الداخلي.

عندما تتحدث إلى شخص ما، تذكّر دائماً أنه حين يبدأ بالبحث عن سجائره بقصد التدخين، فهذا يعني أنه يعاني من الضجر وأن عليك أن تدعه وشأنه. يريد أن يتخلص منك ولكنه لا يستطيع أن يقوم بذلك بصورة مباشرة لأن ذلك يتعارض مع مبادئ الآداب والتهديب. لذلك فهو يلجأ إلى

التدخين. هذا دليل على أنه غير مهتم بأمرك الآن؛ إنه منغلق على نفسه، يمارس هذا الغناء الإيقاعي عبر التدخين.

ولكن هذا النوع من النشاط السلوكي يُظهر أنك في حالة هوس، كونك لا تستطيع أن تلزم الصمت أو تمتنع عن القيام بأي نشاط. إنك بذلك تعبر عن غضبك وجنونك من خلال هذا النشاط السلوكي.

الفعل شيء جميل، إنه استجابة عفوية. والحياة تتطلب منا كثيرًا من الاستجابات، إذ يجب علينا أن نتصرف في كل لحظة. ولكن الاستجابة تأتي عبر اللحظة الآنية. أنت جائع، إذًا تبحث عن الطعام. أنت عطشان، تبحث عن الماء. أنت تشعر بالنعاس، تخذل إلى النوم. أنت تتصرف حسب متطلبات الوضعية بكليتها. والفعل هو عفوي وكلي.

النشاط السلوكي هو دائمًا غير عفوي، إنه يأتي من الماضي. إنه يتراكم لسنوات عديدة ثم ينفجر في الحاضر - ليس له صلة بالحاضر، ولكن العقل مخادع، يجد دائمًا التبريرات العقلانية لهذا النشاط السلوكي. يحاول العقل أن يثبت أنه فعل وليس نشاطًا سلوكيًا وأن هناك حاجة لهذا الفعل. إنك تنفجر فجأة بالغضب. والجميع يدرك أنه لم يكن هناك أي حاجة أو مبرر لهذا السلوك وأن ليس له أي صلة بالوضعية الحالية؛ أنت فقط لا تدرك ذلك. يتساءل الجميع: «ماذا تفعل؟ لم يكن ثمة حاجة لذلك. لماذا أنت غاضب جدًا؟». ولكنك ستجد تبريرات عقلانية تؤكد الحاجة لهذا السلوك. هذه التبريرات تساعدك على البقاء بحالة لاوعي حيال غضبك. ويصف جورج غوردييف George Gurdjief هذه التبريرات الواقيات الاصطدام. وهذه الواقيات تُستخدم في قطارات السكك الحديدية لتفصل بين المقطورات، وهكذا إذا حصل أي توقف مفاجئ، لن يشعر الركاب بصدمة قوية. الواقيات تستوعب الصدمة. ونشاطك السلوكي هو دائمًا لا يمت إلى الواقع بصلة، ولكن هذه الواقيات (التبريرات) لا تسمح لك برؤية الوضعية على حقيقتها. الواقيات تسبب لك العمى وبذلك يستمر النشاط السلوكي.

ما دام هذا النشاط السلوكي مستمرًا لا يمكنك الاسترخاء. لأن هناك حالة مرضية، حالة هوس تتملكك. تريد أن تقوم بنشاط سلوكي ما مهما كان هذا النشاط. هناك حمقى في جميع أرجاء العالم يقولون لك: «قم بأي نشاط بدلاً من أن لا تقوم بأي نشاط». وهناك حمقى اختلقوا هذا القول الشعبي: «العقل الفارغ هو مشغل الشيطان». هذا غير صحيح. العقل الفارغ هو أجمل وأنقى شيء في الدنيا. كيف يمكن للعقل الفارغ أن يكون مشغلاً للشيطان؟ لا يمكن للشيطان أن يدخل عقلاً فارغاً، هذا مستحيل. الشيطان يمكنه الدخول فقط إلى عقل مهووس بالنشاط السلوكي - عندها يمكن للشيطان أن يسيطر عليك ويريك طرقًا لتكون أكثر نشاطًا. الشيطان لا يقول أبدًا: «استرخ!» إنه يقول: «لماذا تضيع وقتك؟ قم بعمل ما أيها الرجل، تحرك! العمر يمضي، قم بعمل ما!». ولكن كل المعلمين العظماء الذين استيقظوا على حقيقة الحياة أدركوا أن العقل الفارغ هو الذي يسمح للأفكار السيئة بالدخول إلى أعماقك. يمكن للشيطان أن يستخدم النشاط السلوكي وليس العقل الفارغ. ألا يمكن للشيطان أن يستخدم العقل الفارغ؟ إنه لن يتجرأ حتى على الاقتراب منه لأن الفراغ سيقته. ولكن إذا تملكك حاجات ملحة لتقوم بنشاط معين، عند ذلك سيسيطر عليك الشيطان، ثم يتولى أمر إرشادك وسيكون المرشد الوحيد. أود أن أقول لك إن هذا المثل الشعبي غير صحيح. لا بد من أن الشيطان قد روج له.

يجب أن تراقب هذا الهوس للقيام بنشاط دائم. ويجب أن تراقبه في حياتك الخاصة. لأن ما سأقوله لك لن يكتسب أي معنى إلا إذا تحققت بنفسك أن لا حاجة للنشاط الذي تقوم به. لماذا تُقدم عليه؟ خلال أسفاري، شاهدت كثيرًا من الناس يقومون بنفس الشيء مرارًا وتكرارًا. في أحد الأسفار أمضيت مع مسافر مدة أربع وعشرين ساعة. لقد قرأ نفس الصحيفة مرة بعد مرة. ولأنه لا يستطيع مغادرة مقصورة القطار ولا يمكنه القيام بأي نشاط، اختار أن يقرأ الصحيفة عدة مرات. أنا أراقبه وأقول لنفسني: ماذا يفعل هذا الرجل؟ الصحيفة ليست كتابًا مقدسًا يمكنك أن تقرأه عدة مرات، لأنه في كل مرة تتضح لك معانٍ جديدة. ولكن الصحيفة ليست بالكتاب المقدس. عندما تنتهي من قراءتها للمرة الأولى لن تجد شيئًا جديدًا فيها. حتى أن قراءتها مرة واحدة كانت مضيعة للوقت. ولكن بعض الناس يقرأونها مرات عدة. ما المشكلة؟ هل هي حاجة؟ كلا - إنهم مصابون بالهوس؛ لا يمكنهم البقاء صامتين أو ساكنين. فهذا غير ممكن ويشبه الموت بالنسبة لهم، لأنهم يجب أن يكونوا ناشطين على الدوام.

من خلال أسفاري على مدى السنوات سنحت لي فرص عديدة لمراقبة الناس من دون معرفتهم بذلك. في معظم الأحيان يتواجد معي شخص واحد في المقصورة ويحاول هذا الشخص بشتى الطرق أن يحملني على التحدث معه وتكون إجاباتي مقتصرة على نعم أو لا؛ بعد ذلك يتوقف عن المحاولة. ثم أبدأ بمراقبته - تجربة جميلة وغير مكلفة: يفتح حقيبته وينظر بداخلها ثم يفلها من دون أن يفعل أي شيء. بعد ذلك يفتح النافذة ثم يفلها. ثم يعود مجددًا إلى الجريدة، ثم إلى التدخين، ثم يفتح الحقيبة مجددًا ويعيد ترتيبها، ثم يعود إلى فتح النافذة وينظر إلى الخارج. ماذا يفعل؟ ولماذا؟ إنها حاجة داخلية ملحة، شيء يغلي في صدره؛ إنه في حالة عقلية محمومة. عليه أن يقوم بعمل ما وإلا شعر بالضيق. لا بد أنه كان رجلاً ناشطًا في زمانه؛ الآن لديه فرصة للاسترخاء - ولكنه لا يستطيع ذلك، فالعادات القديمة تدوم إلى الأبد.

يقال أن أورانجاب Auranjzeb، وهو إمبراطور مغولي، أقدم على سجن والده عندما أصبح مسنًا. وكان والد أورانجاب هو الشاه جاهان Shah Jean الذي بنى «تاج محل». لقد سجنه ابنه وخلعه عن العرش. ويقال، كما هو مكتوب في سيرة أورانجاب الذاتية، أنه بعد أيام قليلة من سجنه لم يكن الشاه جاهان منزعًا لكونه في السجن، لأن جميع وسائل الراحة كانت متوفرة له في هذا السجن الذي يشبه القصر. كان يحصل على كل ما هو بحاجة إليه. الشيء الوحيد الذي لم يكن متوفرًا له هو القيام بأي نوع من النشاط. وهذا ما دعاه إلى أن يطلب من ابنه أورانجاب قائلاً: «كل شيء على ما يرام لقد أمّنت لي جميع وسائل الراحة. ولكن هناك شيئًا واحدًا سأكون ممتنًا لك إلى الأبد إذا كان بإمكانك أن تحقّقه لي، وهو أن ترسل لي ثلاثين صبيًا. أودّ أن أقوم بتعليمهم». لم يصدّق أورانجاب ما طلبه والده: «لماذا يود والدي أن يعلم ثلاثين صبيًا؟» إنه لم يُظهر أبدًا أي رغبة في أن يكون مُدرّسًا، ولم يكن أبدًا مهتمًا بأي نوع من الثقافة، ماذا جرى له؟ ولكنه لبّى رغبة والده. أرسل ثلاثين صبيًا إلى الشاه جاهان وأصبح كل شيء على ما يرام - لقد أصبح شاه جاهان الإمبراطور مجددًا. إذا ذهبت إلى مدرسة ابتدائية سترى أن المُدرّس يشبه الإمبراطور تقريبًا. يمكنه أن يأمر التلامذة بالجلوس وعليهم أن يجلسوا؛ يأمرهم بالوقوف وعليهم أن يقفوا. لقد خلّق شاه جاهان في هذه الغرفة مع ثلاثين صبيًا جوًّا يشبه جو بلاطه - إنها عادة الإدمان على إصدار الأوامر للناس. ويعتقد علماء النفس أن المدرسين هم في الواقع رجال سياسة. بالطبع، لا يتحلون بما فيه الكفاية من الثقة بالنفس ليمارسوا السياسة - لكنهم يذهبون

إلى المدارس وهناك يصبحون رؤساء جمهورية، أو رؤساء وزارة أو أباطرة. يصدرون الأوامر للأطفال الصغار ويجبرونهم على القيام بأعمال لا يرغبون القيام بها. ويعتقد علماء النفس أيضاً أن المدرسين يميلون إلى التصرف بطريقة سادية، يتمتعون بتعذيب الآخرين. وهل هناك من مكان أفضل لممارسة هذه الميول السادية من المدرسة الابتدائية. يمكن للمدرس أن يعذب الأطفال الأبرياء ويمكنه أن يعذبهم ويظهر بمظهر الغيور على مصلحتهم. اذهب وراقب بعض المدارس الابتدائية! لقد ذهبت شخصياً إلى عدد من المدارس الابتدائية وراقبت المدرسين وأنا على ثقة بأنهم يتمتعون بتعذيب الأطفال. كما أنه لا يوجد ضحايا أكثر براءة وأقل قدرة على المقاومة من الأطفال. إنهم في غاية الضعف والعجز. يكتب أورانجياب في سيرته الذاتية: «والدي، بسبب عاداته القديمة، لا يزال يريد الإدعاء أنه إمبراطور. لندعه إذا يدعي ذلك ويخدع نفسه، لا ضير في ذلك. لنرسل له ثلاثين صبيًا أو ثلاث مئة، العدد الذي يريد. لندعه يدير مدرسة صغيرة ويسعد بذلك».

يمكن أن نتكلم عن نشاط سلوكي عندما لا يكون هناك صلة بين الفعل والظرف أو الحالة الآنية. راقب نفسك وسترى: 90% من طاقتك تهدر في النشاطات السلوكية. وبسبب ذلك عندما يحين الوقت للقيام بفعل له صلة بالظرف الآني، تكون قد استنفدت معظم طاقتك. أما الإنسان الذي هو في حالة استرخاء فلا يمتلكه الهوس ويعمل على تخزين طاقته. إنه يحافظ على طاقته وعندما يحين الوقت للفعل، يوظف طاقته بأكملها في هذا الفعل. لذلك فإن الفعل هو دائماً كلي، يوظف كل طاقتك. والنشاط السلوكي هو دائماً غير حماسي، لأنك تعلم أنه غير ذي فائدة. لا يمكنك أن تخدع نفسك. أنت تدري أنك تقوم بهذا النشاط لأسباب مبهمّة تضجّ في داخلك. يمكنك أن تُغيّر النشاطات السلوكية ولكن إذا لم تتحول النشاطات إلى أفعال لن يجدي ذلك نفعًا. يأتي الناس إليّ ويقولون لي إنهم يريدون التوقف عن التدخين فأقول لهم: «لماذا؟ إنها رياضة تأملية جميلة، تابع التدخين». لأنك إذا توقفت عن التدخين، ستبدأ بممارسة نشاط آخر قد يكون أكثر خطورة وضرراً. قد تكون أحمق ولكنك لست رجلاً عنيقاً، كما أنك لا تُسبّب الأذى لأحد. إذا توقفت عن التدخين، ماذا ستفعل؟ فمك بحاجة لأن يقوم بنشاط ما، إنه عنيف. عندها ستعوض عن التدخين بكثرة الكلام، وهذا أخطر من التدخين.

زوجة أحد الحكماء أتت لزيارتي منذ أيام. إنها قليلاً ما تأتي لزيارتي ولكن عندما تأتي أدرك أن هناك أزمة ما. سألتها: «ما المشكلة؟». بعد نصف ساعة من الكلام قالت لي «إن زوجي يتكلم أثناء نومه، ماذا تقترح علي؟ ماذا يجب أن أفعل؟ إنه يتكلم كثيراً ويتفوّه بكلمات بذيئة، من الصعب أن أنام معه في نفس الغرفة».

قلت لها: «لا تفعلي شيئاً. أعطه فقط الفرصة للكلام وأنتما مستيقظان».

الناس بحاجة للكلام، ويجب أن نعطيهم الفرصة ليتكلموا وهم صاحبين حتى لا يتكلموا أثناء النوم. إنها ظاهرة مماثلة لظاهرة التدخين: الفم بحاجة للحركة. وحركة الفم هي النشاط الأولي الذي نمارسه بعد الولادة. يولد الطفل ويبدأ برضاعة الثدي والدته - إنه النشاط الأولي. التدخين يشابه الرضاعة: حليب دافئ ينساب إلى الداخل.... في التدخين، دخان دافئ ينساب إلى الداخل، والسيجارة بين الشفتين تعطي شعوراً مماثلاً لشعور حلمة الثدي. إذا لم يُسمح لك بالتدخين أو مضغ التبغ أو أي نشاط آخر فإنك ستلجأ إلى الكلام. وهذا أشد خطورة لأنك ترمي بنفائاتك على عقول الآخرين.

هل يمكنك البقاء صامتًا لمدة طويلة؟ يقول علماء النفس أنك إذا بقيت صامتًا لمدة ثلاثة أسابيع ستبدأ بالتكلم إلى نفسك. عندها ستتنقسم إلى شخصين: شخص يتكلم وشخص آخر يصغي. وإذا بقيت صامتًا لمدة ثلاثة أشهر، ستصبح جاهزًا لدخول المصح العقلي. ستصبح في حالة جنون تام.

المجنون هو شخص ينحصر عالمه بنفسه. إنه المتكلم والمستمع، إنه الفاعل والمشاهد. لقد قسم نفسه إلى أجزاء عديدة وأصبح مُفكِّكًا. لذلك يخشى الناس الصمت لأنهم يعلمون أنهم قد يصابون بالجنون. وإذا كنت تخشى الصمت فهذا يعني أن عقلك هو في حالة محمومة ومهووسة ليكون ناشطًا على الدوام.

النشاط السلوكي هو هروب من الذات، إنه مُخدِّر. وفي النشاط تنسى نفسك، وعندما تنسى نفسك تُبعد عنك الهموم والقلق. لذلك أنت بحاجة لأن تبقى ناشطًا على الدوام.

يجب أن نفرِّق بين الفعل والنشاط. الفعل صحي والنشاط مَرَضِي. هذه هي الخطوة الأولى. الخطوة الثانية هي أن توظف طاقتك في الأفعال أكثر منها في النشاطات. وعندما توظفها في النشاطات يجب أن تكون يَظًا وواعيًا لذلك. وعندما تكون واعيًا يتوقف النشاط، وتدخّر طاقتك وتوجّهها نحو الفعل.

الفعل هو عمل فوري وليس مُعدًّا سلفًا. وهو لا يعطيك أي مجال للتحضير أو التدريب. إنه دائمًا جديد ونقي كقطرات ندى الصباح. والشخص الذي يعتمد الفعل هو دائم النضارة والنقاوة. قد يفنى جسده ولكن نقاوته ونضارته تدومان. والله يحب النقاوة والنضارة.

تخلّ عن كثير من النشاطات. ولكن كيف تفعل ذلك؟ يمكنك أن تصبح مهووسًا في عملية التخلي هذه. وهذا ما يحصل للرهبان في الأديرة: التخلي عن النشاط أصبح هاجسهم الوحيد. إنهم يقومون دائمًا بعمل ما للتخلي عن نشاطاتهم: الصلاة، التأمل، اليوغا... الخ. ولكن هذه نشاطات أيضًا. لا يمكنك التخلي عن النشاطات بهذه الطريقة لأنها ستدخل مجددًا من الباب الخلفي.

كن واعيًا. حاول أن ترى الفرق بين الفعل والنشاط. وعندما تملك الرغبة للقيام بنشاط ما، كن أكثر وعيًا. وهذا كل ما باستطاعتك أن تفعله. قم بالنشاط بوعي تام. دخّن السجائر، ولكن دخّنْها ببطء، بوعي تام، ليتبيّن لك ماذا تفعل.

إذا كان بإمكانك أن تراقب نفسك وأنت تدخّن، ففي يوم من الأيام ستسقط السيارة من بين أصابعك فجأة لأن سخافة هذا النشاط، أي التدخين، ستضح لك بصورة جليّة. التدخين هو ضرب من السخافة والحماقة. وعندما تتحقق من ذلك ستسقط السيارة تلقائيًا من يدك. لا يمكنك أن ترميها لأن رَمِيها هو نشاط. لهذا أقول إنها ستسقط كورقة يابسة من الشجرة. إنها تسقط بهذه البساطة. لو رميتها فإنك ستستبدلها بنشاط آخر.

دع الأشياء تسقط تلقائيًا. لا تُسقطها. دع النشاطات تختفي، لا ترغمها على الاختفاء، لأن المجهود الذي تبذله لتجعلها تختفي هو نشاط بحد ذاته. راقب، كُن يقظًا وواعيًا وستتحقق من ظاهرة مدهشة: عندما يسقط النشاط بنفسه دون إرغام، لا يترك أي أثر. ولكن إذا أرغمته على السقوط، فإنه سيترك ندبًا ظاهرًا. من المتوقع أنك ستفاخر بأنك توقفت عن التدخين بعد ثلاثين سنة. هذه المفارقة هي نوع آخر من النشاط. إنك لا تتوقف عن الكلام بهذا الموضوع. شفتاك في حالة نشاط دائم، وفمك لا يتوقف عن الكلام؛ هذا دليل على أن مشاعر العنف تغلي في داخلك.

عندما يتفهّم الإنسان حقيقة الأمور تسقط النشاطات تلقائياً - عندها لا يمكنك الادّعاء بأنك أرغمتها على السقوط. لقد سقطت تلقائياً. وهذا لا يفسح في المجال لتقوية «الأنا» وإنما يقوّي إمكانية بروز الأفعال.

عندما تسنح لك الفرصة للقيام بأفعال كئيبة، لا تضيّعها. اعتمد أكثر على الأفعال ودع النشاطات تسقط تلقائياً. وسيأتي إليك التحوّل بصورة تدريجية. إن الأمر يتطلب بعض الوقت، ولا داعي للتسرّع.

أصغ إلى كلمات أحد الحكماء هذه:

«لا تفعل أي شيء بجسدك ما عدا الاسترخاء؛ أفلّ فمك وابق صامتاً؛ أفرغ عقلك ولا تُفكّر بأي شيء».

«لا تفعل أي شيء بجسدك ما عدا الاسترخاء....» الآن يمكنك أن تفهم معنى الاسترخاء. يعني أنه يجب أن لا تكون هناك أي حاجة مُلحة للقيام بأي نشاط. والاسترخاء لا يعني أنه يجب عليك أن تستلقي على الأرض كشخص ميت. إن الاسترخاء يأتي إليك عندما لا تكون هناك حاجة ملحة للقيام بأي نشاط؛ الطاقة متركرة بداخلك لا تتحرك بأي اتجاه. وإذا تطلّبت منك الوضعية أن تقوم بأي فعل عندها يمكنك أن تتصرف، ولكن يجب أن لا تحاول أن تبحث عن تبريرات للقيام بأي عمل. الاسترخاء يعني أن تكون بحالة راحة تامة.

كنت أقرأ كتاباً منذ سنوات قليلة. عنوان الكتاب هو «يجب أن تسترخي». هذا أمر سخيّف لأن كلمة يجب هي نقيض الاسترخاء. ولكن هذه الكتب لا تُباع إلا في الولايات المتحدة. إن كلمة يجب تعني الهوس وهذا نشاط. وعندما نستخدم كلمة يجب لا بدّ أن يكون الهوس مختبئاً خلفها. عندما تقول يجب أن أسترخي، يصبح الاسترخاء نوعاً من الهوس. يجب أن تعتمد وضعية مُعيّنة، أن تنبطح على الأرض وتقترح على جسدك أن يسترخي ابتداءً من أصابع القدمين حتى الرأس. لماذا «يجب»؟ الاسترخاء يأتي إليك عندما لا تكون هناك أشياء يتوجّب عليك القيام بها في حياتك. إن الاسترخاء ينطبق على الجسد والفكر، إنه يشمل الكائن بكليته.

أنت متعب ومرهق من كثرة النشاط، وطاقة الحياة شارفت على النفاد. إنها مُشتتة. وعندما تقوم بأي عمل، تقوم به وأنت في حالة غضب. بالطبع ستشعر بحاجة للاسترخاء! لذلك يصدر كثير من الكتب التي تتكلم عن الاسترخاء في كل شهر. ولكنني لا أعرف أي شخص تمكن من الاسترخاء بعد قراءته لهذه الكتب. لا يوجد أي كتاب يمكنه مساعدتك على الاسترخاء. الاسترخاء يأتي إليك عندما تتفهّم ذاتك. والاسترخاء ليس بشيء يتوجّب عليك القيام به، إنه التوقف عن النشاط وليس عن الفعل. لست بحاجة لتذهب إلى جبال الهملايا لتمكّن من الاسترخاء. يجب أن لا تتوقف عن القيام بالأفعال التي تتطلبها منك الحياة لأنك بذلك تتخلّى عن الحياة، تصبح ميتاً وليس مسترخياً. في جبال الهملايا تجد حكماء بحالة الموت وليس بحالة استرخاء. لقد هربوا من الحياة، هربوا من الفعل.

تلك هي النقطة الدقيقة التي يجب فهمها: يجب أن يذهب النشاط وليس الفعل. وأن تتخلّى عن الاثنين عمليةً سهلة. يمكنك أن تهرب إلى جبال الهملايا، أو يمكنك أن تتابع نشاطاتك وتُرغم نفسك على الاسترخاء بضع دقائق عند الصباح أو المساء. ولكنك لا تفهم تعقيدات العقل الإنساني، كيف تعمل. الاسترخاء هو حالة، ولا يمكنك أن تحصل عليه بطريقة قسرية. كل ما

عليك أن تقوم به هو أن تتخلى عن السلبيات والعوائق ويأتي إليك الاسترخاء تلقائياً. ماذا تفعل عندما تتخذ إلى النوم في المساء؟ هل تقوم بأي عمل؟ إذا قمت بأي عمل ستصاب بالأرق. ماذا تفعل إذا؟ تتمدد بكل بساطة وتتخذ إلى النوم. لا تقوم بأي عمل لأنك لو فعلت لن تتمكن من النوم. والواقع أن كل ما أنت بحاجة إليه هو تَوَقُّف النشاطات النهارية في ذهنك. وعندما تتوقف النشاطات في ذهنك، ستسترخي وتتخذ إلى النوم.

لا حاجة للقيام بأي عمل كما يقول أحد الحكماء، لا تفعل شيئاً بجسدك ما عدا الاسترخاء. لا تفعل أي شيء! لا حاجة لأن تلوي جسدك في أي وضعية يوغا. كل ما أنت بحاجة إليه هو غياب النشاطات. وكيف يحصل ذلك؟ يحصل بواسطة التفهّم. والتفهّم هو الوسيلة الوحيدة. تفهّم نشاطاتك وفجأة في منتصف النشاط، إذا أصبحت واعياً لما تقوم به، يتوقف النشاط. ما هو الاسترخاء؟ إنه حالة حيث لا تتحرك طاقتك بأي اتجاه - ليس باتجاه المستقبل وليس باتجاه الماضي، إنها بحوزتك فقط. إن مخزونك من الطاقة يغلقك بصمت ودفء. وهذه اللحظة هي كل ما في الأمر. وليس هناك أي لحظة أخرى. إن الوقت يتوقف - عندها يحصل الاسترخاء. أما إذا كان الوقت يمرّ فلا يمكن أن يكون هناك أي استرخاء. الوقت يتوقف بكل بساطة؛ لا وجود للوقت، وهذه اللحظة هي كل شيء. أنت لا تطلب أي شيء، أنت تستمتع بهذه اللحظة فحسب.

يأتي إليّ الناس ويسألونني: «هل تؤمن بوجود الله؟» وأقول: «نعم لأن كل شيء في هذه الحياة رائع، وكيف يمكن أن تتواجد كل هذه الأشياء الرائعة من دون أن تكون روح الخالق فيها؟» تأمل الأشياء البسيطة فقط... المشي على العشب الذي تُغطيه قطرات الندى، شعورك بلمس العشب، ببرودة قطرات الندى، بنسيم الصباح وشروق الشمس. أتريد أكثر من ذلك لتكون سعيداً؟ مجرد استلقائك على فراشك الدافئ في الليل، تستشعر نعومة الملاء، تلتق العتمة والصمت، تغلق عينيك وتستشعر نفسك. ماذا تريد أكثر من ذلك؟ ينبعث بداخلك شعور بالامتنان، هذا هو الاسترخاء.

الاسترخاء يعني أن هذه اللحظة هي أكثر ما يمكن أن نطلبه، أو نتوقعه أو نرغب فيه - وهكذا فإن الطاقة لا تتحرك بأي اتجاه، وتصبح ساكنة. وأنت تتحلل في طاقتك الذاتية. هذه اللحظة هي الاسترخاء.

الاسترخاء لا ينحصر بالجسد أو العقل، إنه كلي. لذلك يقول الحكماء: «كُنْ عديم الرغبات» لأنهم يعلمون أنه عندما توجد الرغبة لا يمكن الاسترخاء. يقولون أيضاً: «انسَ الماضي». لأنك إذا كنت شديد الانشغال بالماضي لا يمكنك الاسترخاء. ويقولون أيضاً: «تَمَتَّعْ بهذه اللحظة». يقول المسيح: انظر إلى الزنبق. انظر إلى الزنبق في الحقل إنها لا تبذل أي مجهود وهي في غاية الجمال والسناء وتفوح بأجمل العطور. انظر إلى الزنبق.

ماذا يقول؟ إنه يقول، استرخ. لست بحاجة لبذل أي مجهود في الواقع، كل شيء مؤمّن لك. يقول المسيح: إذا كان الخالق يهتم بأمر الطيور، والحيوانات والأشجار، لماذا أنت قلق؟ ألا تعتقد أنه سيهتم لأمرك؟ هذا هو الاسترخاء.

لماذا أنت قلق بشأن المستقبل؟ خذ العبرة من الزنبق، راقب الزنبق واصبح مثل الزنبق ثم استرخ. الاسترخاء لا علاقة له بوضعية الجسد، إنه تحوّل كامل في طاقتك.

الطاقة لها بُعدان. أحدها هادف، يبغى الوصول إلى مكان أو شيء معين - وهذه اللحظة تُستَخدم كوسيلة للعبور، للوصول إلى الهدف. وهذا البُعد هو الذي يُعبّر عن النشاط السلوكي الهادف. وكل ما تريده هو الوصول إلى هدفك ومن ثم تسترخي. ولكن مع هذا النوع من الطاقة لا يمكنك بلوغ الهدف، لأن الطاقة تحوّل كل لحظة آنية إلى وسيلة لبلوغ هدف جديد في المستقبل. وهناك دائماً أهداف جديدة في الأفق وأنت لا تتوقف عن الجري وراء هذه الأهداف، ولكنّ المسافة بينك وبينها تبقى ثابتة.

والبُعد الثاني لا يُحرّكه أي دافع. إنه مجرد احتفال باللحظة الآنية. الهدف هو هنا، وهو الآن. في الواقع أنت الهدف. وليس هناك أي هدف تريد تحقيقه سوى هذه اللحظة - حُذِ العِبْرَة من الزنبق. عندما تكون أنت الهدف، وعندما لا يكون الهدف في المستقبل - عندما لا يوجد أي شيء تريد تحقيقه، بل بالأحرى، تريد الاحتفال به، إنه هنا لقد وصلت إليه، إنه هذه اللحظة الآنية - هذا هو الاسترخاء، الطاقة غير الهادفة.

هناك إذاً نوعان من الأشخاص: الباحثون عن الأهداف والمحتفلون. الباحثون عن الأهداف هم المجانين. إنهم يتسبّبون بجنونهم تدريجياً حتى يصلوا إلى الضياع الكلي. والنوع الثاني لا يبحث عن شيء، إنه يحتفل باللحظة الآنية.

كُنّ المحتفل، فهناك الكثير الذي يمكنك أن تحنفل به - الزهور تفتح، والطيور تُغني، والشمس مُشرقة في السماء - احتفل بكل ذلك. وفجأة ستسترخي، من دون أن تشعر بأي قلق أو توتر، ونبضات قلبك تعبّر عن الشكر والامتنان - هذه هي الصلاة.

لا تفعل أي شيء بجسدك ما عدا الاسترخاء. وكل ما عليك هو أن تفهم حركة الطاقة الخالية من أية دوافع. إنها تناسب، ولكن ليس باتجاه هدف، إنها تناسب لأنها في حالة احتفال.

طفل يركض، يقفز ويركض في كل مكان. أسأله: «إلى أين أنت ذاهب؟» إنه غير ذاهب إلى أي مكان - ستبدو أحمق بالنسبة له. ما هذا السؤال السخيف: «إلى أين أنت ذاهب؟» وهل هناك حاجة للذهاب إلى أي مكان. الطفل لا يمكنه الإجابة عن سؤالك لأنه لا يعني شيئاً له. سوف يهز كتفيه ويجيبك: «إنني لا أذهب إلى أي مكان» ثم يسأله العقل الهادف: «لماذا تركض إذاً؟» - لأن النشاط يجب أن يوصل إلى مكان ما بالنسبة لأصحاب العقول الهادفة.

وأنا أقول لك، ليس هناك أي مكان تذهب إليه. هنا كل الوجود. الوجود بأكمله يبلغ نروته في هذه اللحظة. كل شيء يصبّ في هذه اللحظة - إنه هنا الآن. إن الطفل يستمتع بطاقته فحسب، ولديه الكثير منها. إنه يركض لا ليصل إلى أي مكان، ولكن لأن لديه الكثير من الطاقة؛ عليه أن يركض.

تَصرّف من دون أي دافع، وليكنّ تصرّفك مجرد تدفّق فائض للطاقة. ليكنّ تصرّفك نابغاً من روح المشاركة وليس المقايضة أو التجارة. أعطِ لأنك تملك، لا تُعطِ لتأخذ بالمقابل - لأن ذلك سيسبّب لك التعاسة. إن جميع التجار يذهبون إلى الجحيم. وإذا أردت أن تجد أعظم التجار ومغتنمي الفرص فإذهب إلى الجحيم، وستجدهم جميعاً هناك. الجنة ليست للتجار، الجنة للمحتفلين.

تذكّر أن النشاط السلوكي هادف وأن الفعل غير هادف. الفعل يفيض بالطاقة، وهو استجابة غير مُعدّة. ذلك أنك تواجه الوجود بكليته فتأتيك الاستجابة. والطيور تغني فتبدأ بالغناء - وهذا ليس بنشاط سلوكي. لقد حصل بشكل مفاجئ، لقد ابتدأت بالغناء بشكل مفاجئ - هذا هو الفعل.

وإذا أصبحت أكثر اعتمادًا على الفعل وأقل اعتمادًا على النشاط، ستتغير حياتك وستنعم باسترخاء عميق. عند ذلك ستعمل ولكن ستبقى مسترخيًا.

الحكيم لا يتعب أبدًا. لماذا؟ لأن الحكيم لا يعمل. إنه يفيض بكل ما يملكه ويُعطيه للغير. لا تفعل أي شيء بجسدك ما عدا الاسترخاء؛ أفل فمك وابق صامتًا. الفم له دلالة هامة لأنه مركز أول نشاطات الإنسان. من الشفاة ابتداء أول النشاطات: التنفس، الصراخ، الرضاعة. ولسانك يبقى دائمًا بحالة نشاط محمومة. لذلك يقترح عليك أحد الحكماء أن «تفهم الفرق بين النشاط والفعل، أن تسترخي وتُقل فمك».

عندما تريد الجلوس والتأمل، عندما تريد أن تكون صامتًا، أول ما تفعله هو أن تُقل فمك كليًا. يمكنك أن تفعل ذلك بسهولة، يمكنك أن تجلس كالتمثال وأن تُطبق فمك، ولكن ذلك لن يوقف النشاط السلوكي؛ فالأفكار لا تزال تتوارد في ذهنك. وإذا كان التفكير مستمرًا ستشعر باهتزاز بسيط في شفتيك. وعندما تسترخي، يتوقف الاهتزاز. أنت لا تتكلم ولا تقوم بأي نشاط داخلي. أفل فمك وابق صامتًا، ولا تُفكر.

ماذا تفعل إذا؟ الأفكار تأتي وتغيب. دعها تأتي وتغيب، فهذه ليست بمشكلة. لا تتدخل، ابق بعيدًا ومنفصلًا. أنت فقط تراقبها تأتي وتغيب. ولا علاقة لك بالأمر. أفل فمك وابق صامتًا. وتدرجيًا تتوارى الأفكار بصورة تلقائية. فالأفكار بحاجة إلى تعاونك لتستمر. إذا عاونتها ستستمر؛ وإذا حاربتها ستستمر. كلتا الحالتين تشكل نشاطًا. وكل ما عليك أن تفعله هو أن تراقب فحسب.

ولكن إغلاق الفم يساعد كثيرًا.

إذا، أقترح أولاً أن تبدأ بالتأوب. افتح فمك بقدر ما تستطيع ثم شدّه بقدر ما تستطيع وتثاب ملء فمك حتى تشعر بالألم. إفل ذلك مرتين أو ثلاثة. هذا يساعد الفم على البقاء مقلًا لمدة أطول. بعد ذلك ولمدة دقيقتين أو ثلاثة، تكلم بطريقة صاخبة وغير مفهومة. أي شيء يخطر ببالك، قل بصوت مرتفع وتمتع بذلك. بعدها أفل فمك.

من الأسهل الحصول على الاسترخاء بممارسة نقيضه. إذا أردت أن تشعر بالاسترخاء في يدك، من الأفضل في البدء أن تجعلها مشدودة بقدر الإمكان - أفل يدك بإحكام وشدّها بقوة. بعد ذلك ستشعر بالاسترخاء في يدك. حرّك عضلات وجهك بطرق مختلفة وقلصها، ثاب، تكلم بصخب لمدة دقيقتين أو ثلاث وبعدها أفل فمك. هذا يمكّنك من أن تحقق استرخاءً أعمق لفمك وشفتيك. أفل فمك وأعب دور المراقب فحسب. في برهة قصيرة سيحل بك الصمت.

هناك نوعان من الصمت. هناك صمت يمكنك أن تفرضه على نفسك. وهذا ليس بالصمت المستحب. إنه نوع من العنف والعدوان. وهناك نوع آخر من الصمت الذي يحل بك كما يحلّ الظلام. أنت فقط تهبي الطرف المناسب له ويأتي إليك. أفل فمك وراقب. لا تحاول أن تكون صامتًا. إذا حاولت، قد تحصل على ثوان معدودة من الصمت ولكن لن يكون لها أي قيمة - أنت لا تزال تغلي في الداخل. إذا لا تحاول أن تكون صامتًا. كل ما عليك هو أن تهبي الطرف المناسب لذلك، هيئ التربة، ازرع البذرة وانتظر.

أفرغ عقلك ولا تُفكر بأي شيء.

ماذا يمكنك أن تفعل لتفرغ عقلك؟ عندما تأتيك الأفكار، تراقب. والمراقبة يجب أن تتم بطريقة غير ناشطة. وهذه آلية مرهفة ويجب أن تفهمها بكليتها لأنك لو أخطأت في نقطة معينة، ستكون النتائج

مختلفة عما تتوقعه.

راقب - راقب بطريقة مُدعنة وغير ناشطة. ما الفرق؟ أنت تنتظر صديقك وتراقب بطريقة ناشطة. كلما مرّ أحد من خلال الباب تقفز من مكانك لترى إذا كانت تلك صديقك. إن عقلك متحمّس وناشط. هذا لن يُجدي نفعًا. إذا كنت متحمّسًا وناشطًا لن تحصل على الصمت الذي تكلمت عنه.

كُن مُدعِنًا، ولا تكن ناشطًا - كما لو أنك تجلس على ضفة النهر وهو ينساب وأنت تراقب. ليس هناك أي حماس أو عَجَلَة. أنت لست مرغمًا على القيام بأي شيء. وليس هناك أي فرص لتضييعها. أنت تراقب، تنظر فحسب. حتى كلمة تراقب غير مُستحبة لأنها تعطيك شعورًا بكونك ناشطًا. أنت تنظر فحسب، ليس لديك أي شيء لتفعله. أنت فقط تجلس على حافة النهر، تنظر، والنهر ينساب. أو تنظر إلى السماء، والغيوم تنتقل. أنت تفعل ذلك بطريقة غير ناشطة، بإذعان. إن الطريقة غير الناشطة المُدعنة مهمة جدًا. ويجب أن تفهم هذه النقطة، لأن هوسك بالنشاط سيصبح انتظارًا ناشطًا. وعندها تكون قد أضعت الفرصة؛ عندها سيدخل النشاط مجددًا من الباب الخلفي. فكن مراقبًا مُدعِنًا - أفرغ عقلك ولا تُفكر بأي شيء. هذا الإذعان سيفرغ عقلك. وكلّ تموجات النشاط والطاقة في داخلك ستخفي تدريجيًا، ويصبح وعيك في صفاء تام، لا تعتريه أية تموجات، يصبح مرآة صامتة. ويتابع الحكيم حديثه ليقول:

«دع جسدك يسترخ كقصبه خيزران فارغة».

هذه إحدى طرق الحكيم الخاصة. لكل معلّم طُرقه الخاصة لمساعدة الآخرين. وهذه هي طريقة هذا الحكيم: دع جسدك يسترخ كقصبه خيزران فارغة. عندما تستريح تشعر تمامًا أنك قصبه خيزران، فارغ كليًا من الداخل. وفي الواقع هذه هي حالتك: جسدك مثل قصبه خيزران، فارغ من الداخل. جلدك، وعظامك ودمك - جميعها جزء من قصبه الخيزران وفي الداخل فراغ.

عندما تجلس وفمك مُطبّق كليًا، لا تقوم بأي نشاط جسدي أو فكري - عقلك يراقب بإذعان، لا يتوقّع أي شيء مُعيّن - ستشعر كأنك قصبه خيزران. وفجأة تبدأ طاقة غير محدودة بالانسحاب في داخلك. أنت مليء بالمجهول، بالغامض والإلهي. قصبه الخيزران الفارغة تصبح مزمارًا يعزف لحنا إلهيًا. وعندما تصبح فارغًا، لن يكون هناك أي عائق يمنع دخول الإله إليك.

جرّب هذه الطريقة؛ طريقة قصبه الخيزران الفارغة، إنها من أفضل وأجمل طرق التأمل. لست بحاجة للقيام بأي شيء. أنت ببساطة تُصبح قصبه خيزران فارغة - وتحصل باقي الأمور. فجأة تشعر بشيء يُعبئ فراغك. أنت كرحمٍ تدخله حياة جديدة، بذرةٌ تنزل في داخلك. وتأتي لحظة تخفي فيها قصبه الخيزران كليًا.

دع جسدك يسترخ كقصبه خيزران فارغة. دع جسدك يسترخ، لا يمكنك أن ترغب بالله - الله يأتي إليك عندما تكون خاليًا من الرغبات. لا يمكن أن نرغب بالتحرّر - لأن الرغبة هي قيد. عندما تكون خاليًا من الرغبات، أنت متحرّر. لا يمكنك أن ترغب ببلوغ الحكمة، لأن الرغبة هي العائق. وعندما تزول العوائق، سيتفجر الحكيم بداخلك. أنت تحمل البذرة. وعندما تكون فارغًا، ستفجر البذرة بداخلك.

يقول أحد الحكماء:

«دَعْ جِسْدَكَ يَسْتَرِحْ كَقَصْبَةِ خِيزْرَانِ فَارْغَةَ. لَا تَأْخُذْ وَلَا تُعْطِ، دَعْ عَقْلَكَ يَسْتَرِحْ».

لا يوجد أي شيء لتعطيه أو تأخذه. كل شيء على ما يرام كما هو عليه. أنت في حالة ممتازة. لقد أُسيء فهم هذه التعاليم الشرقية في الغرب؛ يتساءل الغربيون: «أي نوع من التعاليم هذه؟» إنها تجعل الناس يتخلّون عن بذل أي مجهود لتحسين أوضاعهم ومزاياهم، ويصبحون بذلك ضحية للشيطان. في الغرب، الشعار هو «حسن نفسك» في هذه الدنيا أو في الآخرة. كيف تحسن نفسك؟ كيف تصبح أفضل وأعظم؟

في الشرق نفهم هذا الموضوع بطريقة مختلفة وأكثر عمقًا. في الشرق، يُعتبر هذا المجهود «لنُصَبِحَ أفضل» هو العائق، لأنك تحمل ما أنت عليه منذ الولادة. لا حاجة لتصبح أي شيء، كل ما عليك هو أن تحقق نفسك. أن تحقق ما هو مخبأ بداخلك. وعندما تفكر في تحسين نفسك، ستشعر بالقلق لأن المجهود الذي ستبذله لهذه الغاية سيقودك إلى الطريق الخاطئ. ستبحث عن أهداف مستقبلية وسيمتلئ عقلك بالرغبات.

عندما تتملك الرغبة، تُضَيِّع الفرصة. دَعْ رَغْبَاتِكَ تَتَلَاشِي، وَكُنْ بَرَكَةً صَامِتَةً لَا تَعْتَرِيهَا أَي رَغْبَةٌ - وَفَجْأَةً وَمِنْ دُونَ أَنْ تَتَوَقَّعَ ذَلِكَ سَتَجِدُ أَنْ مَا تَبْحَثُ عَنْهُ مَوْجُودٌ هُنَا وَسَتَضْحَكُ مِنْ أَعْمَاقِكَ، كَمَا ضَحِكَ الْحُكَمَاءُ. وَيَقُولُ أَتْبَاعُ أَحَدِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَصْبِحُ صَامِتًا مُجَدِّدًا، سَتَسْمَعُ ضِحْكَتَهُ الْهَادِرَةَ. إِنَّهُ لَا يَزَالُ يَضْحَكُ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عَنِ الضَّحْكِ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ. لَقَدْ ضَحِكَ لِأَنَّ الْمَفَارِقَةَ مَضْحَكَةٌ. أَنْتِ تَحَاوِلِينَ أَنْ تَصْبِحِي مَا أَنْتِ عَلَيْهِ. إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَصْبِحِي نَاجِحًا إِذَا كُنْتِ نَاجِحًا، وَلِمَاذَا تَحَاوِلِينَ ذَلِكَ؟ كَيْفَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَصْبِحِي مَا أَنْتِ عَلَيْهِ. لِهَذَا السَّبَبِ ضَحِكَ الْحَكِيمُ.

كان الحكماء معاصرين. يعرفون بعضهم البعض عن بعد دون أن يلتقوا. كانوا يتحلون بمزايا متشابهة.

يقول أحد الحكماء:

«لَا تَأْخُذْ وَلَا تُعْطِ، دَعْ عَقْلَكَ يَسْتَرِحْ فَحَسَبَ. حَالَةُ الْمَاهَامُودْرَا Mahamudra هِيَ كَالْعَقْلِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِاللَّاشِيءِ».

إذا كانت يدك معلقة باللاشيء، تكون قد بلغت مبتغاك.

الماهامودرا هي كالعقل الذي يتعلق باللاشيء. إذا تابعت التمرن، ستصل إلى حالة التنوير البوذي. على ماذا تتمرن إذا؟ على أن تستريح وتسترخي أكثر فأكثر. أن تعيش اللحظة الأنية أكثر فأكثر. أن تعتمد الفعل أكثر من النشاط. أن تصبح فارغًا ومُذْعَنًا أكثر فأكثر. أن تعتمد المراقبة أكثر فأكثر - أن تكون لا مُبَالِيًا، لا تتوقع أي شيء ولا ترغب بأي شيء. أن تكون سعيدًا بما أنت عليه. أن تكون محتفلًا.

تصرّف بانسجام مع الطبيعة

الإبداع هو حالة من الوعي متناقضة على الصعيد الظاهري. إنها فعل من خلال اللافعل، إنها ما يدعوها أحد الحكماء wei-wu-wei. وهذا يعني أن تسمح لشيء أن يحصل من خلالك. أنت تسمح ولكن لا تفعل. أنت تسمح بأن تصبح ممراً لينساب الكلّ من خلالك. أنت تصبح قسبة خيزران فارغة.

ومن ثمّ على الفور، يبدأ شيء ما بالحصول. إن الله يوجد على مسافة قريبة من الإنسان. إسمح له بممرّ صغير ليعبر من خلاله. هذا هو الإبداع، أن نسمح لله أن يتملكنا. الإبداع هو حالة دينية. لذلك أقول إن الشاعر هو أقرب إلى الله من رجل اللاهوت. الفيلسوف هو الأبعد عن الله لأنه بقدر ما تفكر يعلو الجدار بينك وبين الكل. بقدر ما تفكر تتعاضم «الأنا» فيك. الأنا ليست سوى الأفكار التي راكمتها في الماضي. عندما تغيب الأنا، يوجد الله - هذا هو الإبداع.

الإبداع يعني أنك في حالة استرخاء تام، إنها لا تعني اللاعمل، بل تعني الاسترخاء - لأنه من خلال الاسترخاء، يتولد كثير من العمل. ولكن هذا لن يكون عملك، أنت ستكون فقط وسيلة عبور. أغنية تبرز من خلالك - أنت لم تخلقها، لقد أتت من البعيد. إنها دائماً تأتي من البعيد. عندما تخلقها أنت، تكون عادية وديوية. وعندما تأتي من خلالك، فإنها رائعة، تجلب معها شيئاً من المجهول.

عندما تُوفّي الشاعر العظيم كولريدج Coleridge ترك وراءه آلاف القصائد غير المكتملة. وقد سُئل عدة مرات أثناء حياته: «لماذا لا تكمل هذه القصائد؟» ومعظم هذه القصائد لم ينقصها سوى أبيات قليلة.

كان يجيب: «لا أستطيع ذلك، لقد جرّبت ولكن في كل مرة كنت أحاول فيها أن أكمل إحدى القصائد، كان يقع خطأ ما. الأبيات التي كنت أكتبها لم تتناغم مع أبيات القصيدة التي جاءت من خلالي، لقد عطلت الانسياب الطبيعي للقصيدة. لذلك كان عليّ أن أنتظر. فمهما كان هذا الشيء الذي ينساب بداخلي، عندما يبدأ مجدداً بالانسياب، سأكمل القصيدة، وليس قبل ذلك.»

لقد أكمل بضع قصائد فقط، وكانت تلك القصائد غاية في الروعة. هكذا تحصل الأمور دوماً: يخفي الشاعر ويبرز الإبداع. يتملكه الله. وأن يتملكنا الله هو منتهى الإبداع.

قالت سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir: الحياة منشغلة بإدامة استمراريتها والتفوق على نفسها؛ ولو كان كل ما تفعله هو المحافظة على نفسها، فإنها ستعني عدم الموت فقط. والإنسان غير المبدع، هو إنسان غير ميت فحسب. ليس في حياته أي عمق، حياته لا تزال مقدّمة. لقد ولد حقاً، ولكنه ليس حياً بعد.

عندما تصبح مُبدِعاً، عندما تسمح للإبداع أن يبرز من خلالك - عندما تبدأ بغناء أغنية ليست من صنعك، ولا تحمل توقعك - عندها تنبض فيك الحياة. في الإبداع نتفوق على أنفسنا، وما عدا ذلك، جُلّ ما نفعله هو المحافظة على أنفسنا. أنت تخلق طفلاً - وهذا ليس بالإبداع. سوف تموت وسيبقى الطفل لإدامة استمرارية الحياة، ولكن إدامة الحياة لا تكفي لتتفوق على نفسك. هذا التفوق يحصل عندما يأتي إليك شيء من البعيد.

هذا التّفوق هو منتهى السمو. عندما تتفوق على نفسك، تحصل المعجزة: أنت غير موجود، ومع ذلك أنت موجود لأول مرة.

منتهى الحكمة هو أن نتصرّف بانسجام مع الطبيعة. هذه هي رسالة كل الصوفيين العظماء، أن نتصرّف بانسجام مع الطبيعة. إن الحيوانات تتصرّف بطريقة غير واعية بانسجام مع الطبيعة. ولكن على الإنسان أن يتصرّف بطريقة واعية مع الطبيعة. لأن الإنسان لديه الوعي، ولأنه يستطيع أن يختار أن لا يتصرّف بطريقة منسجمة مع الطبيعة؛ ومن هنا كبر المسؤولية. الإنسان لديه مسؤولية - فقط الإنسان لديه مسؤولية، وهذا سبب عظمته. أما الحيوان فليس لديه أي مسؤولية؛ إنه يتصرّف بانسجام مع الطبيعة فحسب، لا مجال له ليضل الطريق. ليس بإمكان الحيوان أن يضلّ الطريق، لأنه ليس لديه وعي. إن وظائفه تعمل كما يعمل الإنسان خلال نومه العميق.

أثناء النوم العميق، ينسجم الإنسان مع الطبيعة. ولهذا السبب نرى أن النوم العميق يعمل على إعادة النشاط والاسترخاء. تكفي دقائق قليلة من النوم العميق لكي تشعر بالنشاط والنضارة مجددًا. لقد أصبحت على اتصال بالمصدر.

ولكن النوم العميق هو طريقة حيوانية للاتصال بالمصدر؛ إن الحيوانات أفقية، والإنسان عمودي. وعندما تريد أن تتخذ إلى النوم تتخذ وضعية أفقية. لا يمكنك النوم إلا في وضعية أفقية - لا يمكنك النوم وأنت واقف. يجب أن تعود في الزمن إلى آلاف السنين، تمامًا مثل الحيوان. أنت في وضع أفقي مواز للأرض؛ وفجأة تبدأ بفقدان الوعي، وفجأة لم تعد مسؤولاً عن أفعالك.

بسبب هذا الواقع اختار سيغموند فرويد الأريكة لمعالجة مرضاه. الأريكة ليست للراحة وإنما لسبب استراتيجي آخر. عندما يتخذ المريض الوضعية الأفقية، يبدأ بالتصرّف بطريقة غير مسؤولة. وإذا لم يشعر بحرية تامة ليقول أي شيء، فلن يتمكن من قول أشياء مخزونة في اللاوعي. وإذا بقي في الوضعية العمودية، فإنه سيقوم برقابة ذاتية على مكونات اللاوعي ويمنعها من البروز إلى حالة الوعي. ولكن عندما يتمدد على الأريكة بوضعية أفقية فإنه يتحوّل فجأة إلى حيوان ويفقد الشعور بالمسؤولية. يبدأ بالنفوّه بأشياء كان من المستحيل أن يتفوّه بها أمام شخص غريب. يبدأ بالنفوّه بمكونات اللاوعي العميقة. إنها استراتيجية فرويدية لجعل المريض عاجزًا تمامًا كالطفل أو الحيوان.

عندما تفقد الشعور بالمسؤولية تتصرف بصورة طبيعية. ولقد ساعد العلاج النفسي في هذا المجال. إنه يضع المريض في حالة استرخاء. وكل الأشياء المكبوتة تخرج إلى السطح، إلى مستوى الوعي، وتتبخّر بعد أن تبرز إلى مستوى الوعي. بعد أن تمرّ بتجربة التحليل النفسي، تُزاح عنك أثقال الماضي وتصبح أكثر طبيعية في تصرّفاتك، أكثر انسجامًا مع الطبيعة ومع نفسك. هذا معنى الصحة.

ولكن هذا نوع من النكوص. أنت بذلك تنزل إلى الطابق السفلي. ولكن هناك طريقة أخرى لتتفوق على نفسك وهي أن تذهب إلى الطابق العلوي - ليس على طريقة فرويد وإنما على طريقة الحكيم. يمكنك أن تتفوق على نفسك بأن تكون على اتصالٍ واعٍ مع الطبيعة.

وهذا خلاصة الحكمة - أن تكون منسجمًا مع الطبيعة، منسجمًا مع إيقاع الكون الطبيعي. وعندما تكون منسجمًا مع إيقاع الكون الطبيعي، فأنت شاعر، أنت رسام، أنت موسيقار، أنت راقص.

جرّب ذلك. بعض الأحيان، عندما تكون جالسًا بقرب شجرة، حاول أن تنسجم مع الشجرة بطريقة واعية. اتحد مع الطبيعة، دَعِ الحدود تزل. كُنِ الشجرة، كُنِ العشب، كُنِ الريح - وسترى أن شيئًا لم تختبره في السابق يحصل الآن. تُصبح عيناك مُرهفتين للغاية: الأشجار أكثر اخضرارًا مما كانت عليه، والورود أكثر روعة، وكل شيء يبدو مضيئًا. وفجأة تريد أن تغني أغنية، لا تعلم من أين جاءت. قدماك مستعدتان للرقص، وتشعر بالرقص يتحرك في أعماقك. تسمع صوت الموسيقى في الداخل والخارج.

هذه هي حالة الإبداع. الانسجام مع الطبيعة، التناغم مع النفس والكون. أحد الحكماء أعطى هذه الحالة تعريفًا جميلًا: الفعل من خلال اللافعل. هذه هي مفارقة الإبداع. هل رأيت رسمًا يرسم لوحة، إنه بالتأكيد في غاية النشاط. أو هل رأيت راقصًا يرقص، إنه في غاية النشاط أيضًا. ولكن بالرغم من ذلك ليس هناك من فاعل؛ هناك صمت فحسب. هذه هي مفارقة الإبداع.

جميع الأشياء الجميلة تحمل المتناقضات بطبيعتها. وكلما ارتفعت في المستوى، تعمقت متناقضات الواقع. أعمالٌ جبّارة مع استرخاء لامتناهٍ. في الظاهر أعمال عظيمة تحصل، ولكن في العمق لا يحصل شيء. وأن تدعن لقوة ليست قوتك، لقوة تتعدى طاقتك، هو الإبداع. التأمّل هو إبداع. وعندما تختفي «الأنا»، تختفي جروحك وتشفى. أنت الآن كل. الأنا هي مرضك. وعندما تختفي الأنا، فأنت لست في حالة نوم، وإنما تنساب مع انسياب الكون الشاسع. قال نوربرت وينر «Norbert Weiner» نحن لسنا بأشياء ثابتة، ولكننا أنماط تُجدد نفسها، دوامة مائية في نهر دائم الانسياب». إذا أنت لست بشيء بل حدث أو عملية. والوعي ليس شيئًا بل عملية. ولكن نحن جعلناه شيئًا. عندما تدعو الوعي «الأنا»، يصبح شيئًا مُحدّدًا وثابتًا، وتبدأ بالموت.

الأنا هي الموت، وموت الأنا هو بداية الحياة الحقيقية. والحياة الحقيقية هي الإبداع. أنت لست بحاجة لتذهب إلى أي مدرسة لتتعلّم الإبداع. كل ما عليك فعله هو أن تتجه داخل ذاتك وتُلغي الأنا. لا تُساندها، أو تغذيها أو تقويها. وعندما تغيب الأنا عن الوجود، يصبح كلّ شيء حقيقيًا وجميلًا.

أنا لا أقول أنكم جميعًا ستصبحون بيكاسو أو شيكسبير. البعض منكم سيصبح رسامًا، والبعض الآخر سيصبح موسيقيًا، أو مغنيًا أو راقصًا - ولكن الفكرة لا تكمن في ذلك. كلّ منكم سيصبح مُبدعًا على طريقته الخاصة. قد تُصبح طاهيًا، ولكن مُبدعًا. أو قد تصبح عامل تنظيفات ولكن مُبدعًا.

لن يكون هناك أي شعور بالضجر. سوف تصبح خلّاقًا حتى في أمور صغيرة. حتى في عمل التنظيف سيكون هناك نوع من العبادة والصلاة. إذا كل ما تفعله سيحمل علامة الإبداع. كما أننا لسنا بحاجة لعدد كبير من الرسامين، أو الشعراء - لو أصبح الجميع رسامين أو شعراء لأصبحت الحياة في غاية الصعوبة. نحن بحاجة للجنانني، للمزارع، للحداد... نحن بحاجة إلى جميع المهن. ولكن بإمكان كل شخص أن يكون مُبدعًا. إذا كان تأمليًا وغير أناني، سيفيض الله في داخله.

لست بحاجة لأن تصبح شهيرًا. فالشخص المُبدع لا يحتاج لأن يصبح شهيرًا كما أنه لا يهتمّ بذلك. إنه مُكثف وقانع بما يفعله وما هو عليه. إنه مجرد من الرغبات. عندما تكون مُبدعًا يختفي الطموح

وتختفي الرغبات.

خمسة عوائق

الطبيعة تُعطي كلاً منّا طاقةً خالقةً، وهذه الطاقة تصبح مدمّرة عندما تُعاق، عندما لا يُسمح لها بالتدفّق الطبيعي.

الاستشعار بالذات

الوعي هو حالة صحيّة. والاستشعار بالذات هو حالة مرضيّة؛ إنه يدلّ على أن خلاّ ما طرأ على الوعي. شيء غريب، غير طبيعي دخل إلى وعينا ولا يمكن لوعينا أن يستوعبه. الاستشعار بالذات هو حالة جمود. إنه كمُستنقِع أسين - لا يذهب إلى أي مكان، إنه يتبخّر ويموت. إذاً أوّل شيء يجب أن نفهمه هو الفرق بين الوعي Consciousness والاستشعار بالذات Self-consciousness.

الوعي لا يعرف شيئاً عن «الأنا». وليس لديه أي فكرة عن انفصال الإنسان عن الوجود. إنه لا يعرف أية حدود أو حواجز، إنه مُتوحّد مع الوجود. ولا يوجد أي صراع بين الفرد والكل. بل الفرد ينساب في الكلّ والكلّ ينساب في الفرد. والعملية تُشبه التنفّس: عندما تنتشق الهواء يدخلك الكلّ، وعندما تزفر الهواء تدخل إلى الكلّ. إنه انسياب دائم، ومشاركة متواصلة. الكلّ يُعطيك وأنت تُعطي الكلّ. توازنٌ دائم.

لقد طرأ خللٌ على الشخص الذي يستشعر ذاته. هو يأخذ ولا يُعطي، يجمع ولا يُشارك ويُقيم حوله الحواجز حتى لا يتمكن أحد من الدخول. وتدرجياً يصبح مقبرة، إنساناً ميتاً - لأن الحياة هي مشاركة. الأنا هي شيء ميت، وهي حية بالاسم فقط. والوعي هو حياة لامتناهية. ولكن أغلب الناس يتملّكهم استشعار الذات.

يجب أن نفهم هذه المفارقة: أن تكون مُستشعراً لذاتك هو أن تكون في حالة لاوعي، وأن تكون غير مُستشعر لذاتك هو أن تكون في حالة وعي. وعندما لا يكون هناك ذات، عندما تختفي هذه الذات الصغيرة، تصل إلى الذات الحقيقية، سمّها الذات السامية أو الذات الإلهية.

إذاً، الذات هي الاثنان معاً: الذات الصغيرة التي هي لك وحدك، والذات السامية التي هي ذات الكلّ. وعندما تتخلّص من هذا المركز الصغير تدخل مركز الوجود. فجأة تُصبح لامتناهياً، وتتخلّص من جميع القيود والحواجز، وتبدأ قوياً لامتناهية بالانسياب من خلاله. تُصبح وسيلة نقل شقافة من دون أية مُعيقات. تُصبح مزمارة يعزف من خلاله. تصبح ممراً فارغاً - هذا ما أدعوه الاستسلام.

الاستشعار بالذات هو موقف غير استسلامي - هو موقف صراعي، قتالي. إذا كنت تقاتل الوجود سوف تستشعر بذاتك، وبالطبع ستُهزم في كلّ مرّة. سوف تُصاب بالإحباط بالتأكيد، وهزيمتك مُحمّمة لأنه ليس باستطاعتك أن تستقلّ عن الوجود. لا يمكنك أن تكون راهباً. الراهب شخص يحاول أن يُحقّق ذاته بمعزل عن الوجود الكلّي، إنه يبني سوراً بينه وبين الوجود. إن مجهوده يتصف بالأناية ومصيره الفشل.

يمكنك أن تنجح مع الله وليس ضدّه. يمكنك أن تنجح مع الكلّ وليس ضدّه. وهكذا، إذا كنت مُحبطاً وتعيساً تذكر: أنت تخلق تعاستك، لأنك تقاتل ضد الكلّ، لأنك تسبح بعكس التيار.

لقد حصل شيء من هذا القبيل - لقد هطلت الأمطار بغزارة في ذلك الموسم، وفاض النهر الذي يمرّ في البلدة. هُرِع الناس إلى أحد الحكماء وقالوا له: «لقد سقطت زوجتك في النهر، أسرع وانقذها!». و

ذهب الحكيم بسرعة وقفز في النهر وبدأ بالسباحة عكس التيار. والناس الذين تجمهروا ليروا ما يحصل صرخوا به قائلين: «ماذا تفعل يا حكيم؟ لا تستطيع زوجتك أن تسبح بعكس التيار». قال الحكيم: «عمّ تتكلمون؟ أنا أعرف زوجتي، إنها لا تستطيع السباحة إلا بعكس التيار». «الأنا» تحاول دائماً أن تمشي بعكس التيار. والناس لا يرغبون القيام بالأعمال السهلة. وقبل أن يقوموا بأي عمل يحاولون أن يجعلوه صعباً. إنهم يستمتعون بالأعمال الصعبة. لماذا؟ لأنهم عندما يواجهون أمراً صعباً تتعاطم عندهم الأنا.

عندما وصلت أول مجموعة إلى قمة إيفريست Everest، سأل أحدهم أدموند هيليري «Edmund Hillary» لماذا قمت بهذه المجازفة؟ لقد كانت مجازفة خطيرة. مات الكثيرون من قبلك ولم يتمكنوا من الوصول إلى القمة». والسائل لم يكن باستطاعته أن يتفهم لماذا يحاول الناس الوصول إلى قمة إيفريست والمخاطرة بحياتهم. ماذا يحاولون أن يثبتوا؟ ماذا يحاولون أن يحققوا؟

أجاب أدموند هيليري قائلاً: «لا يمكننا أن نستريح ما لم نبلغ قمة إيفريست. يجب أن نسيطر عليها!» ليس هناك أي مكسب من ذلك، ولكن السيطرة على القمة تُشكّل تحدياً كبيراً. إنها تحدّ «للأنا».

راقب حياتك الشخصية - أغلب الأشياء التي تفعلها، تفعلها بسبب «الأنا». تريد أن تبني منزلاً كبيراً - قد تكون في غاية الراحة في منزلك الحالي ولكنك تريد أن تبني قصرًا كبيراً. هذا القصر الكبير ليس لك وإنما «للأنا». قد يكون وضعك المالي ممتازاً ولكنك لا تتوقف عن جمع الأموال وزيادة ثروتك - هذه الأموال ليست لك وإنما للأنا. كيف يمكنك أن تستريح إذا لم تصبح أغنى رجل في العالم؟

ولكن ماذا ستفعل عندما تصبح أغنى رجل في العالم؟ سوف تصبح أكثر تعاسةً، لأن الصراع لا ينتج عنه سوى التعاسة. والتعاسة هي دليل على أنك في حالة صراع. لا تُلقِ المسؤولية إذاً على غيرك. إن الناس يُجيدون خلق مبررات لتعاستهم. وعندما يكونون تعساء يقولون: «ماذا يمكننا أن نفعل؟ ترسّبات أفعالنا الماضية تجعلنا تعساء». هذا هراء! ترسّبات الماضي قد تكون هي التي جعلتك تعيساً، ولكن في الحياة السابقة. ترسّبات الحاضر هي التي تجعلك تعيساً الآن. ولكن من السهل أن تلقي المسؤولية على ترسّبات الماضي - ماذا باستطاعتك أن تفعل؟ يجب أن تكون ما أنت عليه، ولا يمكنك أن تفعل شيئاً الآن. لا يمكنك أن تحمي ترسّبات الماضي. لقد حصل ما حصل وليس بالإمكان إزالته. وهكذا تبرّر تعاستك الحالية.

يمكنك أن تُلقِ المسؤولية على الشيطان كما يفعل المسيحيون - لا بد من أن الشيطان ينصب لك شركاً. أنت غير مسؤول، إنه الشيطان الذي يسبّب لك التعاسة ويجرّك نحو الجحيم. ومن يهّمه أمرك؟ لماذا على الشيطان أن يهتم بأمرك؟

ثم هناك الماركسيون، الشيوعيون، الاشتراكيون - يقولون إن البنية الاجتماعية والنظام الاقتصادي هما اللذان يسببان تعاسة الناس. ثم هناك الفرويديون والمحللون النفسيون الذين يحملون هذه المسؤولية لعلاقة الطفل بأمه. وهكذا فإن المسؤولية، على الدوام، لا تقع عليك، وخاصة في الوقت الحاضر.

وأنا أريد أن أقول لك: أنت السبب. إذا كنت تعيساً، أنت وحدك المسؤول. وليس الماضي ولا البنية الاجتماعية أو النظام الاقتصادي. إذا لم تُغيّر نظرتك للأمور، ستبقى تعيساً في أي مجتمع

وأي نظام اقتصادي.

والتغيّر المبدئي سيحصل عندما تتخلى عن الصراع ضد الوجود. هذا هو المغزى الأساسي في كل الديانات عندما يشدّدون على التخلي عن «الأنا». عندما يقولون: «تخلّ عن الأنا»، يقولون: «تخلّ عن الصراع». أريدك أن تتذكر ذلك جيدًا، لأن التخلي عن «الأنا» يبدو ميتافيزيقيًا. «الأنا»؟ أين «الأنا»؟ ما هي «الأنا»؟ هذه الكلمة مألوفة عند الجميع، ولكن يبدو أنها غامضة، لا يمكن فهمها. أوّد أن أجعلها أكثر عملية: تخلّ عن الصراع، لأن «الأنا» هي نتاج جانبي لموقفك الذي يتبنّى الصراع.

يتكلم الناس عن السيطرة على الطبيعة، يتكلمون عن السيطرة على هذا أو ذلك - كيف يمكنك أن تسيطر على الطبيعة. أنت جزء من الطبيعة. كيف يمكن للجزء أن يسيطر على الكلّ؟ هل ترى الحماسة والسخافة في ذلك؟ يمكنك أن تكون بحالة اتحاد وانسجام مع الكلّ، أو يمكنك أن تكون بحالة صراع وتنافر مع الكلّ. التنافر يؤدّي إلى التعاسة؛ والانسجام يؤدّي إلى السعادة. والانسجام يؤدّي بصورة طبيعية إلى الصمت العميق، والفرح والبهجة. والصراع يؤدّي إلى القلق، والاضطراب والتوتر.

«الأنا» ليست سوى مجموع التوتّرات التي خلقتها حولك. ولكن لماذا يخلق الإنسان هذه التوتّرات حوله؟ لا بد أن هناك سببًا ما. لماذا يعمل كلُّ منا على خلق «الأنا» - الذات المزيّفة؟ لأنه يجهل الذات الحقيقية. ومن الصعب العيش من غير ذات، لذلك يخلق ذاتًا مزيّفة.

في الواقع، لا يمكننا معرفة الذات الحقيقية بصورة مطلقة؛ إنها تبقى غامضة، غير قابلة للتحديد. والذات الحقيقية شاسعة للغاية ولا يمكن تحديدها، وهي غامضة للغاية ولا يمكنك أن تغوص في أعماقها. الذات الحقيقية هي ذات الكلّ. ولا يمكن للإنسان أن يخترقها، أو يدرسها، أو يتأملها.

هناك قصة مشهورة عن رجل حكيم استدعي من قبل الإسكندر المقدوني. سأله الإسكندر: «لقد سمعتُ أنك توصلت إلى معرفة ما هو الله، أرجوك أخبرني. أعلم أنك بحثت لمدة طويلة والناس تقول أنك توصلت إلى هذه المعرفة، نورني عن الله، ما هو الله؟».

يقال أن الرجل الحكيم أجاب: «أعطني على الأقل مدة أربع وعشرين ساعة لأفكر بالأمر». مضت أربع وعشرون ساعة وكان الإسكندر ينتظر مُتلهّفًا. جاء الرجل الحكيم وقال: «إني بحاجة لسبعة أيام».

مضت سبعة أيام وكان الإسكندر على وشك أن يفقد صبره. ثم جاء الرجل الحكيم وقال: «إني بحاجة لسنة كاملة».

قال الإسكندر: «ماذا تقصد أنك بحاجة لسنة كاملة؟ إما أن تعرف أو لا تعرف. إذا كنت تعرف أخبرني. لماذا إضاعة الوقت؟».

ضحك الرجل الحكيم وقال: «كلّما فكّرت بالأمر، أصبح إدراكي غير ممكن. وكلّما ازدادت معرفتي صغبت عليّ أن أقول أنني أعرف. جرّبت لمدة أربع وعشرين ساعة ولم أتوصّل إلى شيء. إنه موضوع لا يمكن الإمساك به، إنه كالزئبق. ثم طلبت سبعة أيام - ولم يُجد ذلك نفعًا. الآن أنا أطلب سنة على الأقل ولست متأكدًا بأنني سأتوصّل إلى تعريف الله».

لقد فعل الرجل الحكيم عين الصواب. لا بد أنه كان حقًا حكيمًا، لأنه لا يمكن تعريف الذات الحقيقية. ولكن ليس بإمكان الإنسان أن يعيش من غير ذات لأنه سيشعر بالفراغ! سيشعر كأنه إطارًا من غير محور، دائرة من غير نقطة ارتكاز. من الصعب العيش من غير ذات.

إن معرفة الذات الحقيقية أمرٌ شاقٌّ؛ ويجب على المرء أن يقوم برحلة طويلة ليصل إلى المسكن. يجب أن يقرع أبواباً عديدة قبل أن يصل إلى الباب الصحيح. والأمر السهل هو أن تخلق ذاتاً مزيفةً. أمّا أن تخلق وردهً حقيقيةً فهذا أمرٌ صعبٌ؛ يمكنك أن تشتري وردهً اصطناعيةً. لن تخذعك ولكنها ستخدع الجيران. هذه هي الذات المزيفة، «الأنا». لا يمكنها أن تخذعك ولكن على الأقل يمكنها أن تخدع الجيران.

هل فكرت يوماً بهذا الأمر؟ إذا سألك شخص ما: «من أنت؟» ماذا يكون جوابك؟ تقول اسمك. ولكن الاسم ليس خاصتك، لأنك جئت إلى هذا العالم من غير اسم. إنه ليس مُلكاً لك. لقد أُعطيَت هذا الاسم، وأي اسم آخر كان يفي بالغرض. إنه اعتباطي وليس له أي أهمية. إذا نوديت «فؤاد» أو «سليم»، أو «راجح»، لا فرق في ذلك. أي اسم سيُفِي بالغرض. إنه للتعريف فقط. أنت بحاجة لاسم يناديك به الناس، إنه لا يعكس ما أنت عليه.

أو قد تقول: «أنا طبيب»، أو «مهندس»، أو «رجل أعمال»... الخ - ولكن ذلك لا يُعطي أي معلومة عن ذاتك. عندما تقول أنك طبيب، تُخبر الناس عن مهنتك وليس عن ذاتك. تخبر الناس عن الطريقة التي تكسب بها عيشك. لا تخبرهم أي شيء عن نفسك.

أو قد تُعطي اسم والدك ووالدتك أو شجرة العائلة - هذا أيضاً لا قيمة له لأنه لا يُعطي أية معلومات عن شخصيتك. كل هذه الإجابات هي محاولات خادعة لخلق ذات مزيفة. أما الذات الحقيقية فتبقى مخبأة وغامضة.

قرأت مرةً أن رجلاً فرنسيّاً كان يعبر الصحراء برفقة دليل عربي. ويوماً بعد آخر كان الدليل العربي يسجد على الرمال الحارقة ويتضرّع إلى الله. وفي إحدى الأمسيات سأل الفرنسيُّ الدليل: «كيف تعرف أن الله موجود؟».

حدّق الدليل بالفرنسي للحظة ثم أجاب: «كيف أعرف أن الله موجود؟ كيف عرفت أن من مرّ من هنا الليلة الماضية كان جميلاً وليس إنساناً؟ أليس بسبب رؤية آثار أخفاه التي تركها على الرمل؟» ومشيراً إلى الشمس التي كانت على وشك المغيب، أضاف قائلاً: «هذا ليس أثراً لأقدام إنسان».

أنت لا يمكنك أن تخلق ذاتك، الذات ليست من صنع الإنسان. تأتي الذات معك عندما تولد، فكيف يمكن لك أن تخلقها. لهذا السبب يقول المسيحيون، والهندوسيون والمسلمون أن الإنسان مخلوق. هذا يعني أنه ليس بإمكانه أن يخلق نفسه. والخالق موجود في مكان مجهول. إن ذاتك ليست ذاتك! هذه الذات المزيفة ليست ذاتك لأنك خلقتها؛ وذاتك الحقيقية ليست ذاتك لأنها مُتجذّرة في الله.

هذه الذات المزيفة التي نحملها معنا سريعة العطب. وهذا متوقّع، لأنها من صنع الإنسان. كيف يمكن للإنسان أن يصنع شيئاً لا يفنى؟ الإنسان نفسه يمرّ بعدة أدوار، وكلّ ما ينتجه فانٍ. ولذلك فإنه في حالة خوف دائم من الزوال. من زوال هذه الذات الزائفة، هذه الذات المصنوعة بطريقة آلية وليس بطريقة عضوية.

هل لاحظت الفرق بين وحدة عضوية ووحدة آلية؟ يمكنك أن تصنع مُحركَ سيارة؛ يمكنك أن تشتري القطع من السوق وتجمعها وتحصل على محرك يعمل كوحدة قائمة بذاتها. بطريقة ما أصبح للمُحرك ذاتاً خاصة به. لا يمكن لقطعة واحدة أن تعمل كمحرك بمفردها. القطع بمجموعها تعمل كمحرك، إنها وحدة آلية مجمعة من الخارج.

ولكن عندما تبذر بذورًا في الأرض تموت هذه البذور وينبتق منها شتلة أو شجرة - هذه وحدة عضوية. إنها ليست مُجمّعة من الخارج، وهذه الوحدة هي في داخل البذرة. تنبجس البذرة وتجمع آلاف الأشياء من التربة، والشمس، والهواء - ولكن الوحدة تأتي من الداخل. يتواجد المركز أولاً ثم يليه المحيط الخارجي. في الوحدة الآلية يتواجد المحيط الخارجي أولاً ثم يليه المركز.

الإنسان هو وحدة عضوية. لقد كان بذرة في أحد الأيام، كآية شجرة؛ لقد بدأ بتجميع محيطه الخارجي في رَجْم الأم. أتى المركزُ أولاً وبعده أتى المحيط الخارجي - والآن نَسِيتَ المركزُ كلياً. أنت تعيش في المحيط الخارجي وتعتقد أن هذا المحيط هو الكلّ. والعيش المستمر في هذا المحيط الخارجي يخلق نوعاً من الذات، ذاتاً مزيفةً، تمنحك الشعور بأنك شخص ما. ولكن هذه الذات هي في حالة اهتزاز دائم لأنها ليست وحدة عضوية.

من هنا الخوف من الموت. لو عرفتَ ذاتك الحقيقية، لما خشيت الموت أبداً، لأن الذات الحقيقية لا تموت. الوحدة العضوية خالدة. وحدها الذات المزيفة المجمّعة من الخارج ستنتفك يوماً ما وتموت. إن الوحدة الآلية لها بداية ونهاية. أما الوحدة العضوية فليس لها بداية أو نهاية - إنها عملية أبدية.

هل تعرف مركزك؟ إذا كنت لا تعرفه، ستعيش حالة خوف دائمة. لذلك فإن الاستشعار الذاتي يجعلك تعيش حالة خوفٍ دائمة. ستكون دائماً بحاجة لمساندة الآخرين - تحتاج لشخص يُقدّر مزاياك، شخص يُصقّق لك، شخص يُطري جمالك وذكاءك. أنت بحاجة دائمة لشخص يكيل لك المدائح، وهذه المدائح تعمل كالإيحاء المغنطيسي، تجعلك تصدق أنك جميل، وذكي وقوي. ولكن الواقع هو أنك تعتمد على الآخرين.

يأتيك رجل أحقق ويقول لك أنك حاد الذكاء - في الواقع، لا يمكنك أن تظهر بمظهر الذكي إلا لرجل أحقق. لو كان أذكى منك، لما اعتبرك ذكياً. وهكذا يأتي رجل أحقق ويؤكّد ذكاءك، وأنت تشعر بالسعادة. يمكنك أن تبدو جميلاً فقط لرجل قبيح المنظر. لو كان أجمل منك لبدوت قبيحاً في نظره - كل شيء نسبي.

أي نوع من الذكاء هذا الذي يؤكّده أشخاص حمقى؟ أي نوع من الجمال هذا الذي يؤكّده أشخاص قبيحون. هذا تمام الزيف والحمافة. ومع ذلك لا نتوقّف عن البحث في العالم الخارجي عن أشخاص يقدمون لنا الدعم اللازم لذاتنا المزيفة. ولولا ذلك لتعرّضت ذاتنا المزيفة للإنهيار.

لهذا السبب تكون أكثر رشاقةً عندما تكون بمفردك - لأنك لست قلقاً. لا يراك أحد. إنك أكثر براءةً عندما تكون وحيداً - في غرفة الحمام أنت أكثر براءةً، إنك تُشبه الأطفال ببراءتك. تقف أمام المرأة وترسم تعابيرَ مختلفة على وجهك وتتمتع بذلك. ولكن إذا شعرت أن طفلك يراقبك من ثقب الباب، سيتغيّر وضعك كلياً. الآن تدخل الذات المزيفة في الصورة. لهذا نرى أن الناس تخشى بعضها البعض. عندما تكون وحيداً، لا تشعر بالقلق.

أصغ إلى هذه القصة:

كان أحد معلمي الزن الحكاء يرسم لوحة وكان قد طلب من أحد تلامذته المقرّبين أن يجلس بقربه ليخبره عندما تصبح اللوحة في حالة كمال. كان التلميذ قلقاً وكذلك كان الحكيم، لأن التلميذ لم ير معلمه يقوم بأي عمل غير كامل. ولكن في ذلك اليوم لم تجر الأمور على ما يرام. لقد حاول المعلم، وكلما حاول، كانت النتيجة أسوأ.

في اليابان أو الصين، يُستخدم ورق الأرز في فن الخط، وهو في منتهى الحساسية والهشاشة. إذا تردّد الخطاط قليلاً يمكن معرفة المكان الذي تردّد فيه بعد قرون - بسبب تسرّب كمية أكبر من الحبر. من الصعب الخداع على ورق الأرز. يجب أن تبقى في حالة انسياب دائم، ولا يجوز التردّد. إذا تردّدت للحظة واحدة سيظهر ذلك واضحاً في عملك.

حاول المعلم مرة بعد مرة وكلّما حاول مجدّداً كان يتصبّب بالعرق. وكان التلميذ يجلس بقربه ويهزّ رأسه قائلاً: «إنها غير كاملة». وكان المعلم يقترف مزيداً من الأخطاء.

بعد فترة أوشك الحبر على النفاد فقال المعلم لتلميذه: «إذهب إلى الخارج وأحضِر بعض الحبر». وبينما كان التلميذ في الخارج، أنهى المعلم تحفته الفنية. وعندما عاد التلميذ إلى الداخل قال: «أيها المعلم، إنها كاملة! ماذا حصل؟».

ضحك المعلم وقال: «كنت على وعي بشيء واحد - حضورك. إن مجرد التفكير أن هناك شخصاً يُقدّر أو يستهجن عملي، أفسد هدوئي الداخلي. لن يحصل ذلك بعد الآن. لقد توصلت إلى معرفة: أنني كنت أحاول أن أجعلها كاملة وكان ذلك هو السبب الوحيد لعدم كونها كاملة».

حاول أن تصنع شيئاً كاملاً وسيبقى غير كامل. اصنعه بطريقة طبيعية عفوية وسيكون دائماً كاملاً. إن الطبيعة كاملة؛ والجهد غير كامل.

لهذا السبب نرى أن جميع الناس يتكلّمون بطريقة جميلة - جميع الناس متكلمون، وهم يتكلّمون طوال حياتهم - ولكن إذا وضعتهم على منبر وطلبت إليهم التكلّم إلى جمهور من الناس، يصابون فجأة بالخرس. ولا يتمكّنون من التفوّه بكلمة واحدة. وحتى إذا تمكّنوا من الكلام، فإن كلامهم لن يكون سلساً، أو طبيعياً أو مترابطاً. ماذا يحصل؟ أنت تعلم أن هذا الرجل يتحدث بطريقة رائعة إلى زوجته، وأطفاله وأصدقائه. لماذا أصابه الخوف أمام الجمهور؟ لأنه أصبح مُستشعراً لذاته. الآن «الأنا» على المحك، إنه يحاول أن يقدم أداءً جيداً.

عندما تحاول أداء عملٍ ما، فأنت تحاول أن تحصل على غذاء «للأنا». وعندما تتصرّف بطريقة طبيعية وتدع الأمور تحصل بطريقة عفوية، تكون أعمالك كاملة ولن يكون لديك أية مشكلة. عندما تكون طبيعياً وعضوياً، يُعينك الله في عملك. وعندما تكون خائفاً مرتعشاً، تحاول أن تثبت أمراً ما، يتخلّى الله عنك. أثناء شعورك بالخوف تنسى الله وتركز اهتمامك على الجمهور.

الاستشعار الذاتي يصبح نقطة ضعف. والشخص الذي لا يركّز مشاعره وأفكاره على نفسه هو شخص قوي. ولكن قوته لا تأتي من ذاته - إنها تأتي من البعيد.

عندما تعيش حالة استشعار الذات، ستواجه المشاكل. أنت تبدو وكأنك لا تدري من تكون. واستشعارك لذاتك هو دليل على أنك لم تبلغ المسكن النهائي بعد.

أصغ لهذه القصة:

عندما كان أحد الحكماء يسير في أحد الشوارع برفقة زوجته، مرّت فتاة جميلة، فأدار وجهه ليلقي نظرة، فقالت له زوجته بطريقة مُخاصمة: «في كلّ مرّة ترى فتاةً جميلة، تنسى أنك متزوج».

«أنت مخطئة جداً في ذلك». قال الحكيم «لا شيء يجعلني واعياً لهذا الواقع أكثر من ذلك». عندما تكون مستشعراً بذاتك، فأنت لا تعي ذاتك على الإطلاق. أنت لا تدري من أنت. ولو كنت تدري لماذا كان لديك مشكلة - ولماذا أعرت أي اهتمام لرأي الآخرين. ولماذا كنت قلقاً ممّا

سيقوله عنك الآخرون. في الواقع لا أحد يقول عنك أي شيء - عندما يقول الآخرون شيئاً عنك فهم يقولونه عن أنفسهم.

لقد حصل ذلك في أحد الأيام: كنتُ في بلدة جايبور وجاء أحد الرجال لزيارتي عند الصباح وقال: «أنت إلهي».

أجبت: «أنت على حق».

في نفس الوقت جاء رجل آخر لزيارتي وقال لي: «أنت شيطاني».

أجبت: «أنت على حق».

أصبح الرجل الأول مضطرباً وقال: «ماذا تعني بذلك؟ لقد قلت لي أيضاً أنني مُحقّ وتقول لهذا الرجل أنه مُحقّ - ليس بالإمكان أن نكون نحن الاثنين على حق».

قلت له: «ليس اثنين فقط، ملايين من الناس قد يكونون مُحقّين بأرائهم نحوي، لأن ما يقولونه عني، هو في الحقيقة ما يقولونه عن أنفسهم. كيف يمكنهم أن يعرفوا حقيقتي؟ هذا مستحيل - إنهم لا يعرفون حقيقة أنفسهم بعد. فمهما قالوا فإنما يعبرون عن وجهة نظرهم فقط».

فقال الرجل: «إذا من أنت؟ إذا كانت وجهة نظري أنك إلهي، ووجهة نظره أنك شيطاني، إذا من أنت؟».

أجبت: «أنا ذاتي. ليس لدي أي وجهة نظر عن ذاتي، ولست بحاجة لذلك. أنا سعيد جداً أن أكون ذاتي، بغضّ النظر عما يعني ذلك».

لا يمكن لأحد أن يقول عنك شيئاً. كل ما يقوله الناس هو عن أنفسهم. ولكنك تتأثر بما يقولونه لأنك لا تزال تتمسك بمركز مزيف. وهذا المركز المزيف يعتمد على الآخرين، لذلك أنت دائم الاهتمام بما يقوله عنك الناس. وأنت دائماً تتبع الآخرين، تحاول إرضاءهم. وتحاول أن تبدو محترماً، تحاول دائماً أن تزيّن ذاتك المزيفة. هذا عمل انتحاري.

بدلاً من أن تكون منشغلاً بما يقوله الآخرون، يجب أن تبدأ البحث في داخلك. إن معرفة الذات الحقيقية لا تأتي بسهولة. ولكن الناس يسعون دائماً وراء السهل. إليك هذه القصة:

عندما تفاقمت آلام الظهر عند أحد الحكماء وأصبحت غير مُحتملة، ذهب بتردد لزيارة أخصائي ليشخص مشكلته.

«حسناً» قال الطبيب، «يمكن أن نعالج مشكلتك بواسطة عملية جراحية، ثم تقضي أسبوعين في المستشفى وستة أشهر مستلقياً على ظهرك».

«أيها الطبيب، ليس بإمكانني تحمّل كل تلك المصاريف!» قال الحكيم.

«حسناً إذاً، مقابل خمسة وعشرين دولاراً فقط يمكنني أن أحسن صورة الأشعة السينية» قال الطبيب.

هذا أمر سهل وغير مُكلف - تحسين صورة الأشعة السينية - ولكن هل يجعلك هذا معافى. هذا ما فعله، نُحسن صورة الأشعة السينية باستمرار معتقدين أن معجزة ما قد تحصل. وعندما تُزيّن ذاتك، فأنت تُحسن صورة الأشعة السينية. وهذا لن يساعدك على أن تصبح معافى على الإطلاق. إنه أقلّ كلفةً - لا حاجة للعملية، لا تكلفة. ولكن ما الفائدة؟ لن تتخلص من تعاستك.

تصبح محترماً وتبقى تعيساً. تحصل على قدر كبير من التقدير من المجتمع ولكن تبقى تعيساً. يُقدونك مداليات ذهبية وتبقى تعيساً. وهذه المداليات الذهبية لن تُزيل تعاستك، إنها مماثلة

لتحسين صورة الأشعة السينية. كل الزينة التي تتزيّن بها ليست سوى خداع لنفسك. وهذا سيساهم بإضعافك تدريجياً. وسيزداد خوفك وستصبح كمن يجلس على بركان قد يتفجّر في أية لحظة. ولن تتمكن من الاستراحة أو الاسترخاء، ولن تعرف طعم الطمأنينة. عندما تُدرك ذلك، ستُوجّه طاقتك باتجاه آخر. ويجب أن تعرف ذاتك. يجب أن لا تهتم بما يقوله عنك الآخرون.

أرسل لي أحد أصدقائي هذه النكتة الجميلة:

كان هناك شاب غير مُلفتٍ للنظر، وليس له أصدقاء. وأثناء حضوره لمؤتمر الباعة في مدينة ميامي رأى أن الجميع كانوا سعداء يضحكون ويمرحون ويتبادلون الروايات والأخبار ولكن لم يُعره أحد من الحضور أي اهتمام.

في إحدى الأمسيات كان يجلس مكتئباً عندما زاره أحد البائعين فأخبره عن مشكلته. «أنا لديّ الحلّ لمشكلتك» قال البائع، «كل ما عليك فعله هو أن تشتري جملاً وتمطّيه وتنقلّ به في الأسواق، وفي وقت قصير سيلاحظك الجميع ويصبح لديك عدد كبير من الأصحاب».

وكما شاءت الأقدار، كان في البلدة سيرك في حالة إفلاس وكان لديهم جمل للبيع. اشتراه الرجل وامطّاه وتنقلّ على ظهره في شوارع البلدة، وكما توقع له البائع، لاحظه الجميع وأظهروا اهتماماً بالغاً به. شعر وكأن العالم بين يديه. ولكن بعد أسبوع اختفى الجمل وأثقل الحزن قلب الرجل فاتصل فوراً بالجريدة المحلية ليضع إعلاناً عن جملة الضائع.

«هل هو ذكر أم أنثى؟» استوضح موظف الإعلانات.

«ذكر أم أنثى؟ كيف لي أن أعرف ذلك؟» أجاب الرجل غاضباً. ولكن بعد أن فكّر لبرهة قال «بالطبع، لقد كان ذكراً، نعم، هذا صحيح».

«وكيف عرفت ذلك؟» استوضح موظف الإعلانات.

«لأنه عندما كنت أمتطيه في الشوارع، كان الناس يصرخون: أنظروا إلى هذا «الشماك» Schmuck على الجمل. وكلمة شماك هي كلمة عبرية ولها معنيان: المعنى الأول «أحمق»، والمعنى الثاني «العضو الذكري».

«الأنا» خداعة جداً. تسمع ما تريد سماعه، وتُفسّر ما ترى وتسمع ليوافق غرورها. إنها لا ترى الواقع. والناس الذين يعيشون في عالم «الأنا» يعيشون خلف ستائر ناشطة؛ وهذه الستائر تعمل على تعديل كل ما يمرّ من خلالها.

الناس يعيشون في عالم فكري من صنّعهم. «الأنا» هي مركز عالمهم، عالمهم المزيف، الوهمي. يعيشون وحدهم في هذا العالم.

عندما تتخلّى عن «الأنا»، تتخلّى عن عالم كاملٍ خلقته حول «الأنا». وللمرة الأولى ستتمكّن من رؤية الأشياء على حقيقتها، وليس كما تريد أن تراها. وعندما تصبح قادراً على معرفة وقائع الحياة، تصبح قادراً على معرفة الحقيقة.

الآن إليك هذه القصة:

كان مُصارع يُدعى أونامي O-Nami، وكلمة أونامي تعني الأمواج العظيمة، عظيم القوة وبارع المهارة في فن المصارعة. في غياب المشاهدين كان بإمكانه أن يهزم أي مصارع حتى مُدربّه، ولكن في حضور المشاهدين كان حتى تلامذته يهزمون.

في خضمّ مشاكله ذهب المصارع إلى أحد حكماء الزن الذي توقف لزيارة أحد المعابد على شاطئ البحر وطلب نصيحته.

«إسمك الأمواج العظيمة»، قال الحكيم، «إدّا إبقَ في هذا المعبد هذه الليلة وأصغ إلى أمواج البحر. تخيل أنك تلك الأمواج، إنس أنك مصارع وكن أنت هذه الأمواج الضخمة التي تجرف كل شيء في طريقها».

بقي أونامي في المعبد. حاول أن لا يفكر إلا بالأمواج ولكن أفكارًا كثيرة راودت مُخيلته. وأخيرًا تمكّن تدريجيًا أن يحصر تفكيره في الأمواج. كانت الأمواج تتعاطم كلما تقدّم الليل ولم يمض وقت طويل حتى جرفت الأمواج أواني الزهور الموضوعة أمام تمثال الحكيم ثم جرفت التمثال. وعند الفجر أصبح المعبد ينبوعًا متدفقًا، وكان أونامي يجلس وعلى وجهه بسمة خافتة.

في ذلك اليوم دخل مباراة المصارعة أمام المشاهدين وفاز بكل المباريات، ومنذ ذلك اليوم لم يستطع أي مصارع في اليابان أن يهزمه.

هذه رواية عن الاستشعار الذاتي وكيفية التخلص منه.

يجب أن نعمل ذلك بصورة تدريجية.

مُصارعٌ يدعى أونامي «الأمواج العظيمة» كان في مُنتهى القوة...

كل إنسان هو في مُنتهى القوة. وأن لا تعرف قوتك، فهذا شيء مختلف. كل إنسان هو في مُنتهى القوة - لأن الجميع مُتجدّر بالله، الجميع مُتجدّر بالكون.

يقول علماء الفيزياء الآن أن الذرة تحتوي على طاقة هائلة - لقد دُمّرت هيروشيما وناكازاكي بواسطة الطاقة الذرية. والذرة هي في غاية الصغر - لم يرها أحد حتى الآن. إنها مجرد استنتاج، إنها في مُنتهى الصغر ولكنها تحتوي على طاقة هائلة.

إذا كانت الذرة تحتوي على هذا القدر من الطاقة، فماذا يمكن القول عن الإنسان؟ ماذا يمكن القول عن شُعلة الوعي الصغيرة المتقددة في داخل الإنسان؟ لو قُدّر لهذه الشعلة الصغيرة أن تتفجّر، لأصبحت مصدرًا لا ينضب من الطاقة والنور. هذا ما حصل للأنبياء.

كل إنسان قوي لأن الجميع مُتجدّر في الله منذ بدء الكون. تذكر ذلك.

يميل عقل الإنسان إلى النسيان. عندما تنسى هذه الحقيقة، تصبح ضعيفًا. عندما تصبح ضعيفًا، تحاول أن تجد طرقًا اصطناعية لتصبح قويًا. هذا ما يفعله ملايين الناس. وعندما تبحث عن المال، عن ماذا تبحث في الحقيقة؟ إنك تبحث عن القوة، عن السلطة. وعندما تبحث عن المكانة، والسلطة السياسية، عن ماذا تبحث؟ إنك تبحث عن السلطة والقوة - والقوة متوقّرة في داخلك. أنت تبحث في المكان الخاطئ.

مصارع يدعى أونامي «الأمواج العظيمة»

كلنا أمواج عظيمة في نفس المحيط. قد نكون نسينا ذلك ولكن المحيط لم ينس. قد نكون نسينا حتى ما هو المحيط - نحن لا نزال في المحيط. حتى لو نسينت إحدى الموجات المحيط، فإنها لا تزال في المحيط - لأن الموجة لا يمكنها الوجود من غير المحيط. إن المحيط يمكنه الوجود من غير الموجة ولكن العكس غير ممكن. والموجة ليست سوى تموج المحيط؛ وهي عملية، إنها ليست وحدة قائمة بذاتها. إنها المحيط يعبر عن بهجته فحسب. والله في بهجته، خلق الناس على الأرض، خلق الوجود.

مصارع يُدعى أونامي، «الأمواج العظيمة»، كان في منتهى القوة ولكن هذه القوة ممكنة عندما تعرف الموجة أنها موجة من محيط لا مُتناه. إذا نسيت الموجة ذلك، تصبح ضعيفة. ونحن ننسى كثيرًا؛ ذاكرتنا ضعيفة جدًا، وننسى بسهولة، وخاصة الأشياء القريبة منا والمتوفرة لنا، ننساها بسهولة.

هل تتذكّر أنك تتنفس؟ قد تتذكّر ذلك في حالة المرض، عندما تُصاب بنزلة صدرية، أو ضيق تنفس، أو أنفلوانزا.

عدا ذلك لا تتذكّر أنك تتنفس. وهذه هي الحال أيضًا بالنسبة إلى الله. لا يتذكر الناس الله إلا عندما يقعون في مُشكلة. والله هو أقرب إليك من أنفاسك، أقرب إليك من نفسك. ولكن مع ذلك نميل إلى النسيان. هل لاحظت هذا الأمر؟ عندما لا تملك الشيء تتذكّره، وعندما تملكه تنساه. وبما أن الله موجود فينا، ننساه بسهولة. وقليل منا من يتذكّر الله على الدوام. أن نتذكر أقرب شيء إلينا هو أمر في غاية الصعوبة.

السمة في المحيط تنسى المحيط. إرم السمكة على رمال الشاطئ الحارة، عندها ستنتكّر المحيط. ولكن ليس هناك أي سبيل لرمي الإنسان خارج الله؛ الله هو محيط من غير شاطئ أو حدود. وأنت لست كالسمكة، أنت كالموجة، أنت جزء من المحيط، جزء من الله. هذا ما ترمز إليه هذه القصة واسم أونامي «الأمواج العظيمة».

كان بارع المهارة في فن المصارعة. في غياب المشاهدين كان يهزم الجميع حتى مُدربه ... في غياب المشاهدين، كان بإمكانه أن ينسى نفسه. تذكر هذا القول المأثور. عندما تتذكّر نفسك، تنسى الله؛ وعندما تنسى نفسك، تتذكر الله - ولا يمكنك أن تتذكّر الاثنين معًا. عندما تفكّر الموجة بنفسها كموجة تنسى المحيط. وعندما تتعرّف الموجة إلى نفسها على أنها المحيط، كيف يمكن لها الآن أن تتذكر نفسها كموجة. أمر واحد ممكن: إما أن تفكّر الموجة بنفسها كموجة، أو تفكّر بنفسها كالمحيط.

في غياب المشاهدين، كان يهزم الجميع حتى مُدربه، ولكن في حضور المشاهدين، كان حتى تلامذته يهزمونه.

في غياب المشاهدين، كان في حالة نسيان تامّ لذاته، «للأنا». عندها كان في منتهى القوة. وفي حضور مشاهدين، كان شديد التركيز على ذاته، كان في حالة استئثار للذات. عندها أصبح ضعيفًا. إن تركيز الوعي على الذات ضعف. ونسيان الذات قوة. في خضمّ مشاكله ذهب المصارع إلى أحد حكماء الزن الذي توقف لزيارة أحد المعابد على شاطئ البحر وطلب نصيحته.

«إسمك الأمواج العظيمة»، قال الحكيم «إدًا إبقَ في هذا المعبد هذه الليلة وأصغِ إلى أمواج البحر».

المعلّم هو شخص بإمكانه أن يخلق وسائل لمساعدة الآخرين. والمعلّم ليس لديه وسيلة مُعيّنة. إنه ينظر إلى الشخص، ينظر إلى هذا الرجل أونامي - «الأمواج العظيمة» - يتمعن باسمه ويخلق وسيلة معتمدًا على اسمه. بعد أن علم أن اسمه هو «الأمواج العظيمة» قال المعلّم: «إسمك الأمواج العظيمة، إدًا إبقَ في هذا المعبد هذه الليلة وأصغِ إلى أمواج البحر».

الإصغاء هو سرّ أساسي من أسرار الدخول إلى معبد الله. والإصغاء يعني الإذعان. والإصغاء يعني أن تنسى نفسك كليًا - وعندها فقط يمكنك الإصغاء. عندما تُصغي بانتباه لأحد الأشخاص،

تنسى نفسك. وإذا لم يكن بإمكانك أن تنسى نفسك، لن تتمكن من الإصغاء أبداً. إذا كان وعيك مركزاً بشدة على الذات، تدّعي أنك تصغي - أنت لا تُصغي. قد تومئ برأسك؛ قد تقول نعم أو لا بعض الأحيان - ولكنك لا تُصغي.

عندما تُصغي، تصبح ممراً فقط. تُصبح مُدعناً مُتقبلاً، تُصبح وعاءً كالرجم. ولكي تصل إلى الله، يجب أن تكون أنثويًا، ولا يمكنك الوصول إلى الله على طريقة الغازي الفاتح. يمكنك أن تصل إلى الله... أو من الأفضل القول، يمكن أن يصل الله إليك عندما تكون مُتقبلاً أنثويًا. وعندما تصبح مُتقبلاً وتتجلى فيك قوة الأنوثة، يفتح الباب وتنتظر.

الإصغاء هو فن الإذعان. وقد شدّد الحكماء كثيرًا على الإصغاء. إنّ الأذن هي عضو رمزي. هل لاحظت ذلك؟ الأذن ليست سوى ممرّ، سوى ثقب، لا شيء أكثر من ذلك. الأذن هي أكثر أنوثة من العين؛ والعين أكثر ذكورة. أذنك هي Yin، أو قوة الأنوثة، وعينك هي Yang، أو قوة الذكورة. عندما تنتظر إلى شخص تكون في موقف المهاجم، وعندما تصغي إلى شخص ما، تكون في موقف المتقبل أو المتلقي.

لهذا السبب يُعتبر التحديقُ بشخص ما سلوكًا غير مُهدّب وغير لائق. ويقول علماء النفس أن هناك حدًا مُعيّنًا للنظر إلى شخص ما وهو ثلاث ثوان. إذا تعدّيت هذه الثواني الثلاث، فأنت لا تنتظر إلى الشخص بل تُحدّق به، تنتهك خصوصيته، وتتجاوز حدودك. ولكن الإصغاء ليس له حدود لأن الأذن لا يمكنها أن تتجاوز حدودها، إنها تبقى حيث هي.

العيون بحاجة للراحة، هل لاحظت ذلك؟ في الليل تحتاج العيون للراحة بينما لا تحتاج الأذن لذلك. إنها مفتوحة لمدة أربع وعشرين ساعة يوميًا وطوال السنة. ولا يمكن للعيون أن تبقى مفتوحة لأكثر من عدة دقائق، عليها أن ترمش وترتاح بشكل متواصل. أما الأذن فهي في حالة راحة دائمة.

لهذا السبب استُخدمت الموسيقى في عدّة ديانات في التهيئة للصلاة - لأنها تجعل الأذن رنانة وأكثر حساسية. ويجب أن نعتمد على الأذن أكثر من اعتمادنا على العيون.

«أنت تصبح آذانًا فحسب» قال المعلم. «أنت تصغي فقط، لا يوجد أي شيء آخر لتفعله - استمرّ في الإصغاء دون أن تكون لديك فكرة لماذا تصغي وماذا يحصل. استمرّ في الإصغاء من دون أي تفسير، من دون أي نشاط من قبلك». وبعد ذلك «تخيّل أنك تلك الأمواج».

أولاً أصغ، أصبح في حالة تناغم مع الأمواج، وعندما تشعر أنك بلغت حالة صمتٍ وتقبّلٍ كليّة، عند ذلك تخيّل أنك تلك الأمواج.

إن المعلم يقدّم له وسيلة لينسى ذاته، لينسى «الأنا». والخطوة الأولى هي التقبّل، لأن «الأنا» لا يمكن أن توجد في حالة التقبّل، إنها توجد فقط في حالة الصراع. وعندما تكون في حالة تقبّل، تتعاضم قدرتك على التخيّل.

إن الناس المتقبّلين، الحساسين، هم أناس يتحلّون بخيال واسع. وأولئك الذين يرون خضرة الأشجار من غير أيّ سلوكٍ عدائي من قبّلمهم - القادرون على امتصاص خضرة الأشجار كالإسفنج - يصبحون أناسًا مُبدعين. أولئك هم الشعراء، والرسامون، والراقصون، والموسيقيون. إنهم يستوعبون الكون بقدرتهم على التقبّل ومن ثمّ يسكبون كل ما استوعبوه في مخيلتهم.

المُخَيَّلَة هي المَلَكَة الأكثر قُدْرَةً على تقريبيك من الله. ولا بدّ أن الله لديه مُخَيَّلَة عظيمة - أنظر إلى عالمه فحسب. إنه عالم خياليّ، مع كثير من الأزهار، وكثير من الفراشات، وكثير من الأشجار، وكثير من الأنهر والناس. فكّر بهذه المَخَيَّلَة فحسب. مع كثير من النجوم، والكواكب والمجرات، عالمٌ لا نهاية له.... لا بدّ أنه عالم عظيم.

في الشرق، يقول الهندوس أنّ العالم هو حُلم الله، هو خياله. عندما قال المعلم لأونامي «ثم تخيل أنك تلك الأمواج» كان يقول «ثم تُصبح مُبدِعًا. أولاً تُصبح مُتقبلاً، وبعدها تُصبح مُبدِعًا». وعندما تتخلّى عن الأنا، تُصبح في غاية المرونة، لدرجة أن كلّ ما تتخيله يُصبح حقيقةً. بعد ذلك تُصبح مُخَيَّلَتك هي حقيقتك.

«إنس أنك مُصارع وكنّ تلك الأمواج الضخمة التي تجرف كل شيء في طريقها». بقّي أونامي، حاول أن يفكر بالأمواج فقط...

بالطبع كان ذلك صعبًا في البداية، وقد راودته أفكار عديدة. ولكنه لم يتوقّف عن المحاولة. لقد كان صبورًا جدًّا. وتدرجيًا تمكّن من حصر تفكيره في الأمواج فقط. إذا تابرت، لا بدّ أن تأتي بُرْهَةٌ يتحقّق فيها ما كنت ترغب فيه لأجيالٍ عديدة - ولكن يجب أن تكون صبورًا.

وتدرجيًا لم يفكّر بأي شيء سوى الأمواج، التي تعاضمت مع انقضاء الليل. هذه الأمواج التي تعاضمت مع انقضاء الليل ليست الأمواج الحقيقية. الآن لا يمكن التفريق بين أمواج المَخَيَّلَة والأمواج الحقيقية. الآن لا يعرف ما هو حقيقي وما هو من صنّع الأحلام. لقد أصبح طفلًا من جديد. والأطفال فقط يمزجون بين الأحلام والحقيقة.

عند الصباح تجد طفلًا يبكي بسبب لعبة رآها في أحلامه ويريد أن يسترجعها، فيسأل: «أين لعبتي؟» وتحاول أن تقنعه أن اللعبة كانت مُجرّد حُلم، ولكنه يقول: «أين هي الآن؟». إنه لا يفرّق بين حالة الحلم وحالة اليقظة. كلاهما جزء من الحقيقة بالنسبة له. عندما تصبح مُتقبلاً، تصبح كالطفل.

لقد تعاضمت الأمواج مع انقضاء الليل. لقد جرفت أواني الزهور الموضوعّة أمام تمثال الحكيم. ليس ذلك فحسب: لقد جرفت حتى تمثال الحكيم.

هذه صورة جميلة! من الصعب على أتباع الحكيم أن يتخيّلوا تمثاله وقد جرفته الأمواج. أيّ شخص في غاية التدنّين، لم يكن ليسمح لمُخَيَّلته أن تجرّف التمثال. كان سيخاطب نفسه قائلاً: «هذا غير ممكن، هل يمكن للأمواج أن تجرّف الحكيم؟ - ماذا أفعل؟ كلا، أنا لست موجة بعد الآن». ولكن توقف عند قدميّ الحكيم ولمسهما. ولكن يجب أن تتذكّر أنه في أحد الأيام، حتى هذه الأقدام التي أنارت لك الطريق، عليها أن تذهب. على الحكيم أن يذهب أيضًا، لأن الباب يصبح عائقًا إذا تمسكت به.

تعاضمت الأمواج وجرفت أواني الزهور الموضوعّة أمام تمثال الحكيم، حتى أنها جرفت تمثال الحكيم. عند الفجر كان المعبد يُنبوعًا متدفّقًا...

هذا لم يحصل في الواقع - لقد حصل لأونامي. تذكّر ذلك: لو كنت أنت في المعبد تلك الليلة، لما رأيت المياه المتدفّقة في المعبد - كان ذلك يحصل لأونامي فقط. كان يحصل له ذلك في بُعدٍ مختلف من كيانه، بُعدٍ الشعر، والخيال والحلم، بُعدٍ يتمييز بالحدس، والأنوثة، والطفولة، والبراءة. لقد فتح أبواب مُخَيَّلته عندما بدأ يُصغي إلى الأمواج، وأصبح مُتقبلاً.

عند الفجر كان المعبد يُنبوعًا متدفّقًا، وجلس أونامي هناك وعلى وجهه ابتسامة خافتة.

لقد أصبح حكيمًا! إنها ذاتُ البسمةِ الخافتةِ التي ارتسمت على شفتيّ أحد الحكماء وهو جالس تحت شجرة البوداي. فجأة غاب عن الوجود - وكانت تلك البسمةُ تعني أنه بلغ المسكن الأخير، أنه وصل إلى حيث يبتغي، ولم يعد هناك مكان آخر ليذهب إليه. لقد بلغ المصدر، مات وعاد إلى الحياة من جديد.

جلس أونامي هناك وعلى وجهه ابتسامةٌ خافتةٌ.
في ذلك اليوم دخل أونامي جميع مباريات المصارعة أمام المشاهدين وفاز بكل واحدة منها، ومنذ ذلك اليوم لم يتمكن أحد في اليابان من التغلب عليه.
لأن الطاقة التي يستخدمها الآن ليست طاقته. وهو ليس أونامي الآن، وليس الأمواج، إنه المحيط. كيف يمكنك أن تهزم المحيط؟ يمكنك فقط أن تهزم الأمواج.
في اللحظة التي تتخلّى فيها عن «الأنا» لن تعرف معنى الهزيمة، أو الفشل أو الإحباط. حافظ على «الأنا»، ومصيرك الفشل. حافظ على «الأنا» تبقّ ضعيفًا. تخلّى عن «الأنا» تفضّ من خلالك طاقةً لا مُتناهية. عندما تتخلّى عن «الأنا» تصبح نهرًا، تبدأ بالانسياب، تصبح حيًّا.
لا حياة من غير الكلّ. إذا حاولت أن تحيا بنفسك، فأنت أحرق بكل بساطة. تصبح كورقة شجرة تحاول أن تحيا بنفسها من دون الاعتماد على الشجرة - ليس ذلك فحسب، بل إنها تحارب الشجرة، تحارب باقي الأوراق، تحارب الجذور، معتقدة أن أولئك جميعًا هم أعداؤها. نحن جميعًا أوراق على شجرة، شجرة عظيمة - سمّها الله أو الكلّ، أو أيّ اسمٍ آخر، ولكننا جميعًا أوراق صغيرة على شجرة الحياة اللامتناهية. لا جدوى ولا حاجة للقتال. لأن الطريقة الوحيدة لبلوغ المسكن الأخير هي الاستسلام.

الكمال

سمعتُ قصَّةً جميلةً: كان هناك نحاتٌ ورسَّامٌ عظيم. وكان فُتْنُه غايةً في الكمال لدرجة أنه كان يصعب التفريقُ بين تمثالٍ نحته والشخصِ الحقيقي. وكانت تماثيله تفيض بالحياة وكأنها بشرٌ أحياء.

ذات يوم أخبره أحد المنجمين أن حياته شارفت على النهاية وأنه سيفارق الحياة بعد فترة قصيرة. بالطبع، أصبح خائفًا وكأيِّ إنسان أراد أن يتحاشى الموت بأي طريقة. فكَرَّرَ بالأمر وتأمَّلَ فيه مَلِيًّا، ووجد حَلًّا. صنع أحدَ عشرَ تمثالاً لنفسه وعندما قرع ملاك الموت بابه، وقف مختبئًا بين التماثيل وحبس أنفاسه.

دُهِشَ ملاكُ الموت، ولم يُصدِّقَ عَيْنِيهِ. إنه لأمر غير معقول وغير طبيعي. إن الله لا يخلق شخصين متماثلين تمامًا، ويعطي كل شخص مميَّزات فريدة. ماذا حصل؟ اثنا عشر شخصًا وجميعهم متماثلون، كل واحد منهم هو نُسخةٌ طبقُ الأصلِ عن الآخر. من سيختار الآخر؟ يجب أن يصطحبَ شخصًا واحدًا معه...

لم يتمكَّنَ ملاكُ الموتِ من اتخاذ أي قرار. وقف حائرًا، وقلِّفًا ومُتوتِّرًا، وسأل الله: «ماذا أفعل؟ هناك اثنا عشر شخصًا متشابهون تمامًا، ويفترض بي أن أحضِرَ شخصًا واحدًا. كيف يمكنني أن أختار؟».

ضحك الله. واستدعى ملاكَ الموت إلى مُقربةٍ منه وهمس بأذنه طريقة الاختيار. أعطاه جُملةً سريَّةً وقال له: «إذهب فحسبُ وقلْ هذا الكلام في الغرفة حيث حَبَّأَ هذا الرجلُ نفسه بين تماثيله». سأل ملاك الموت: «كيف سيؤدِّي ذلك إلى المطلوب؟». قال الله: «لا تقلق، اذهب وجرِّب ذلك فحسب».

ذهب ملاك الموت وهو لم يُصدِّقَ بعدُ أن هذه الطريقة ستؤدِّي إلى الغاية المنشودة، ولكن كان عليه أن يُنفِذَ أمر الله. ذهب إلى داخل الغرفة، نظر حوله، ومن دون أن يُوجِّهَ الكلامَ إلى أيِّ شخصٍ مُعيَّن، قال: «سيدي، كلَّ شيء في غاية الكمال ما عدا شيئًا واحدًا. لقد أجدت الصُّنْعَ، ولكنك أغفلت أمرًا واحدًا. هناك خطأ واحد».

عندها نَسِيََ الفنانُ كُليًّا أنه كان مُختبئًا، وقفز من بين التماثيل قائلاً: «أيَّ خطأ؟». ضحك ملاك الموت وقال: «لقد قبضت عليك، هذا هو الخطأ الوحيد، لا يمكنك نسيان نفسك. تعال، اتبعني».

الفنان، عادة هو أكثر الناس أنانية في العالم. ولكنه بهذا المعنى ليس فنانًا حقيقيًّا. لقد استخدم فُتْنُه ليرضي أنانيته. الفنانون هم في مُنتهى الأنانية، يفاخرون ويعتدون بأنفسهم ويتقاتلون بصورة مستمرة. وكل واحد منهم يعتقد أنه هبة الله على الأرض. ولكن هذا ليس بالفن الحقيقي.

الفنان الحقيقي يخنفي من الوجود كُليًّا. أما هؤلاء الآخرون، فإنهم تَقَنِّيون وليسوا فنانين. إنهم ليسوا مُبدعين بل مُجرِّد مؤلِّفين. وشتانَ ما بين تأليف قصيدة وخلق قصيدة. لتؤلِّفَ الشعر، تحتاج لمعرفة اللغة، والقواعد وبحور الشعر. إنه نوع من التلاعب بالألفاظ،

وإذا كنت تُجيد التلاعب بالألفاظ يمكنك أن تصنع الشعر. ولكن ما تصنعه لن يكون شاعرياً، مع أن له مظهر الشعر. قد يكون كاملاً من الناحية التقنية، ولكنه سيكون جسداً من غير روح. تتواجد الروح فقط عندما يختفي الفنان داخل فنه. عندما يرسم الفنان بوفرة حتى لينسى وجوده، وحتى ليشعر بالذنب عند توقيع اسمه على اللوحة. لأنه يعرف أنه لم يرسمها... وأن ثمة قوة مجهولة رسمتها من خلاله، ويعرف أن شيئاً ما كان يتملكه. تلك كانت خبرة الفنانين الحقيقيين عبر العصور: الشعور بأن شيئاً ما يتملكهم. وكلما عظم شأنُ الفنان، ازداد وضوحُ هذا الشعور. وأولئك الذين هم في قمة العظمة - موزارت Mozart، بيتهوفن Beethoven، كاليداس Kalidas، طاغور Tagore - يعلمون بكل تأكيد أنهم لم يكونوا سوى قصبات خيزران فارغة وأن الوجود كان يغني من خلالهم. لقد كانوا المزامير ولكن الأغاني ليست من خلقهم، لقد انسابت من خلالهم، ولكنها أتت من مصدر مجهول. وهم لم يُعيقوا انسيابها - هذا كل ما فعلوه - ولكنهم لم يخلقوها.

هذه هي المفارقة. المبدع الحقيقي يعرف أنه لم يخلق أي شيء، وأن الوجود خلق كل شيء من خلاله. لقد تملكه الوجود، تملك يديه، وكيانه، وخلق شيئاً من خلاله. هذا هو الفن الحقيقي، حيث يختفي الفنان. وعندها تختفي «الأنا» ويصبح الفن تدنياً. عندها يكون الفنان صوفياً. كلما اختفى الفنان من أعماله الفنية، ازدادت كمالاً. وعندما يختفي كلياً، يكون الإبداع في منتهى الكمال. والعكس صحيح، كلما تواجد الفنان في أعماله، ابتعدت عن الكمال. وإذا كان تواجد الفنان طاغياً في أعماله، فإنها ستكون مثيرة للاشمئزاز وعصابية. سوف تظهر «الأنا» فقط - وما عساها تُظهر غير ذلك؟

«الأنا» هي مرض العُصاب. ويجب أن نتذكر شيئاً آخر عن «الأنا»: «الأنا» تسعى وراء الكمال. و«الأنا» تريد أن تكون دائماً أرقى وأفضل من الآخرين؛ إنها مثالية. ولكن من المستحيل بلوغ الكمال من خلال «الأنا». ولذلك يبدو مجهود «الأنا» مُناقياً للمنطق. الكمال ممكن عندما لا توجد «الأنا» - ولكن عندما تختفي «الأنا»، لا أحد يفكر بالكمال أبداً. إذاً، الفنان الحقيقي لا يفكر أبداً بالكمال. ولا يعرف شيئاً عن الكمال، ويسمح لنفسه بالاستسلام، وليكن ما يكون. والفنان الحقيقي يفكر بالكلية وليس بالكمال. ويريد أن يكون بكليته في أي عمل يقوم به. عندما يرقص، يريد أن يختفي في رقصته. ولا يريد أن يكون هناك، لأن وجود الراقص يُعكر الرقصة. إنه يعكر ويُعيق الرشاقة والانسحاب. وعندما لا يكون الراقص موجوداً، تختفي جميع العوائق، ويكون الانسياب صامتاً وسليماً.

الفنان الحقيقي يفكر كيف يكون كلياً ولكنه لا يفكر أبداً بالكمال. وأجمل ما في ذلك أن الذين يفكرون بالكلية هم الكاملون. والذين يفكرون بالكمال لا يبلغون الكمال أبداً. على عكس ذلك، كلما فُكروا بالكمال، تفاقمت حالتهم العُصابية. إن لديهم معايير مثالية، وهم يقارنون دائماً، ولكنهم لا يقتربون أبداً من هذه المعايير!

عندما يكون لديك معيار مثالي، ولا يمكنك الشعور بالكمال إلا إذا طابقت أفعالك هذا المعيار، كيف إذاً يمكنك أن تكون كلياً في أفعالك. إذا كنت تعتقد أنك على سبيل المثال يجب أن تكون راقصاً على مستوى نيجينسكي Nijinski فكيف يمكنك أن تكون كلياً في رقصك؟ أنت تُراقب نفسك باستمرار، تحاول أن تُحسن أداءك، وتخشى أن ترتكب أي غلطة. أنت مُنقسم - جزء منك

يرقص، والجزء الآخر يقف خارج حلبة الرقص يراقب، ينتقد ويصدر الأحكام. أنت مُنقسم، أنت مُجراً.

كان نيچينسكي كاملاً لأنه كان كُلياً. عندما كان يرقص ويقفز في الهواء، لم يُصدّق الناس ما رأَت عيونهم؛ حتى العلماء لم يصدّقوا ما رأَت عيونهم. كانت قفزاته تُناقضُ قانونَ الجاذبية! وعندما كان يعود بقدميه إلى الأرض، كان يعود ببطء مُتناهٍ وكأنه ريشة... وهذا أيضاً يُناقض قانونَ الجاذبية.

لقد سُئل عن ذلك مراراً. وكلّما ازدادت أسئلة الناس له، ازداد وَعْيُهُ لهذه الظاهرة وتَسبّب باختفائها تدريجياً. ولم يَطُل الأمرُ حتى جاء يوم اختفت فيه هذه الظاهرة كلياً. وكان سبب ذلك أن وَعْيُهُ أصبح مُركّزاً كُلياً على ذلك - لقد أضاع كليته. بعد ذلك فهم سبب اختفائها. كانت تحصل فقط عندما كان يَضِيع كُلياً في رقصه. وفي حالة الاسترخاء الكاملة هذه، يتصرّف الإنسان بطريقة مختلفة كُلياً، وَفَقَ قوانينَ مختلفة.

هناك قانونٌ جاذبية لم نعرفه إلا منذ ثلاثمائة سنة ولكنه كان يعمل في الطبيعة قبل ذلك من دون معرفتنا به. هذا القانون ليس له علاقة بنيوتن Newton أو سقوط التفاحة من الشجرة. كانت التفاحة تسقط من الشجرة قبل نيوتن. وهذا لا يعني أن نيوتن اكتشف قانونَ الجاذبية وبعد ذلك بدأ التفاح بالسقوط من الشجر. كان قانونَ الجاذبية موجوداً، ونيوتن اكتشفه.

في المقابل، هناك قانون آخر، أنا أدعوه قانون «الخِفة»، يرفع الأشياء. إن قانونَ الجاذبية يسحب الأشياء إلى الأسفل؛ وقانون «الخِفة» يرفعها إلى الأعلى. في ممارسة اليوغا يدعونه الارتفاع في الهواء Levitation. في حالة من التخلي عن الذات والاستسلام، يفقد الشخص وزنه ويبداً هذا القانون بالعمل.

كانت تلك الظاهرة تحصل في حالة نيچينسكي. ولكن لا يمكنك أن تُرغم هذه الظاهرة على الحصول، لأنه إذا كانت «الأنا» هناك لن يحصل شيء.

«الأنا» هي كصخرة حول رقبتك. وعندما تغيب «الأنا»، تُصبح معدوم الوزن. ألم تشعر بذلك في أي وقت من حياتك؟ هناك أوقات تصبح فيها معدوم الوزن، تمشي على الأرض ولكنّ قدميك لا تطآن الأرض. إنها أوقات الفرح، الصلاة، التأمل، الاحتفال، الحب... تصبح معدوم الوزن وترتفع في الهواء.

وأنا أقول أن العلم سيكتشف هذا القانون عاجلاً أم آجلاً، لأن العلم يؤمن بمبادئ معيّنة: التضاد القطبي. لا يمكن أن يوجد قانون من غير قانون مُضادّ له. الكهرباء لا تُولد بِقُطْبٍ واحد، سلبّي أو إيجابّي، ولكي تولد يجب أن يتوقّر القُطبان. كل قُطْبٍ يُتَمِّم الآخر.

العلمُ يعرف ذلك، أنّ لكل قانونٍ قانوناً مُضادّاً يُتَمِّمه. يجب أن يكون هناك قانون مُضادّ للجاذبية ليتَمِّمها. وهو القانون الذي أسميه مبدئياً قانون الخِفة - أو أي اسم يصلح في المستقبل عندما يكتشفه العلماء.

الفكر

«العقل المُعاصِر»، عبارة تحتوي على المتناقضات. ذلك أن العقل لا يمكن أن يكون معاصرًا، إنه قديم دائمًا. والعقل هو الماضي - الماضي ولا شيء سوى ذلك. والعقل يعني الذاكرة، لذلك لا يوجد عقلٌ مُعاصِر. وأن تكون مُعاصرًا هو أن تكون من غير عقل. إذا كنت هنا وفي هذه اللحظة الأنبيّة، فأنت مُعاصِر. ولكن عند ذلك يختفي عقلك! إنك خالٍ من الأفكار والرغبات؛ أنت منفصل عن الماضي والمستقبل.

لا يمكن للعقل أن يكون أصيلاً، نقيًا، ناضِرًا. العقل هو دائماً قديم، تافهٌ وفساد. عقل القرن التاسع عشر كان عقلاً مختلفاً، وكانت الأسئلة التي يطرحها تختلف عن الأسئلة التي نطرحها الآن. الأسئلة التي كانت تُعتبر هامّة في القرن الثامن عشر هي أسئلة في مُنتهى السخافة الآن. «كم من الملائكة يستطيعون الرقص على رأس الدبوس؟» كان من أعظم الأسئلة اللاهوتيّة في القرون الوسطى. هل يمكنك أن تجد الآن أيّ شخص يعتقد أن هذا السؤال هو سؤال هامّ؟ لقد نوقش هذا السؤال من قبل أهم علماء اللاهوت، وكتبوا عنه مقالات عديدة ونظموا العديد من المؤتمرات. «كم من الملائكة...؟» الآن، من يابهُ لذلك؟ هذا سؤال سخيف.

في أحد العصور كان السؤال الهامّ «من خلق العالم؟». ولقد دام هذا السؤال لقرون عديدة، ولكن الآن نرى أن قلة من الناس تهتم بهذا السؤال. وبهذا المعنى فإن العقل يتغيّر مع تغيّر الزمن. والعقل المُعاصِر هو حقيقة.

يقول الزوج للزوجة: «لن نغادر المنزل هذه الليلة، إلّا إذا قرّرت عكس ذلك». الآن هذا عقل معاصر. في الماضي كان من غير المعقول أن يقول الزوج ذلك. كانت كلمة الزوج نهائية دائماً. الكلمة الأخيرة كانت دائماً كلمته.

التقت سيدتان بريطانيتان من طبقة أرستقراطية مُصادفة أثناء قيامهما بالتسوّق في لندن. لاحظت إحدهما أن الأخرى كانت حاملاً فبادرتها قائلة: «عزيزتي، ما هذه المفاجأة! يبدو أنك تزوجت منذ آخر لقاء لنا!».

أجابت الثانية: «نعم، إنه شخص رائع، إنه ضابط في فرقة رُماة الغوركا Ghurka». صُعقت السائلة وقالت مستوضحة: «الغوركا! عزيزتي، أليسوا جميعاً من العِرْق الأسود؟». «كلا» أجابت: «الجنود فقط».

علّقت السائلة: «عزيزتي، يا لمواقفك العصرية!».

بهذا المعنى، يوجد عقل مُعاصر. والأنماط السائدة (الموضة) تأتي وتذهب. وعندما تفكّر بالأنماط، تجد أن هناك تغيّرات. ولكن بوجه عامّ، العقل قديم. ولا وجود لعقلٍ مُعاصِر. والعقل الأكثر مُعاصِرَةً لا يزال من الماضي.

الإنسان الحيّ حقاً، هو إنسان اللحظة الأنبيّة. إنه لا يعيش في الماضي، ولا يعيش من أجل المستقبل. إنه يعيش هذه اللحظة، من أجل هذه اللحظة. هذه اللحظة هي كلّ شيء. إنه عفوي؛ والعفوية هي دليل اللاعقل No-mind. يتّسبمّ العقل بالتكرار، وهو يدور دائماً في حلقات مُفرّغة.

العقل هو آلة: تُزوّده بالمعلومات، فيُكرّر نفس المعلومات. إنه يَمضغ ذات المعلومات إلى ما لا نهاية.

اللاعقل هو الوضوح، النقاوة، البراءة. اللاعقل هو طريقة العيش الحقيقية، طريقة المعرفة الحقيقية، طريقة الوجود الحقيقية.

والفكر هو شيء مُزيّف: إنه بديلٌ للذكاء. والذكاء ظاهرة مختلفة كُليًا. الذكاء هو الشيء الحقيقي. يحتاج الذكاء إلى شجاعة فائقة، إلى حياةٍ مُغامرة. وهو يتطلّب الذهاب إلى المجهول، وينمو فقط عندما يواجه المجهولَ في كلّ لحظة. والناس يخشون المجهول، يشعرون بعدم الطمأنينة من المجهول. ولا يريدون أن يتجاوزوا الأشياء المألوفة؛ لذلك خلقوا بديلاً مزيّفاً واصطناعياً للذكاء. يسمّونه الفكر.

يمكنك أن تذهب إلى الجامعات وترى أيّ نوع من العمل الخلاق يحصل هناك. تُكتب آلاف الأطروحات، وتُعطى شهادات الدكتوراه لآلاف الباحثين. هل تعلمون ماذا يحصل لتلك الأطروحات؟ تُصبح أكوامَ نفايات في المكتبات. لا يقرأها أحد، ولا تُلهم أحداً في أيّ مجال أكاديمي. نعم، يقرأها بعض الناس؛ وهم من نفس نوع الناس الذين كتبوا هذه الأطروحات، الذين يعملون على نيل شهادة الدكتوراه.

ولكنّ هذه الجامعات لا تُنتج أيّ شكسبير، أو ميلتون، أو دوستوفسكي، أو تولستوي، أو رايندرانث، أو جبران. هذه الجامعات لا تُنتج سوى خُرْدَةٍ، لا قيمة لها. وهذا هو النشاط الفكري الذي يحصل في الجامعات.

الذكاء يُنتج أشخاصاً مثل بيكاسو، وفان غوغ، وموزارت، وبيتهوفن. والذكاء هو بُعدٌ مختلف كُلياً عن الفكر. لا علاقة له بالعقل؛ علاقته بالقلب. والفكر هو في العقل. أما الذكاء فهو حالة تعكس يقظة القلب. وعندما يكون قلبك في حالة يقظة، عندما يرقص قلبك مُعبّراً عن امتنانه العميق، عندما يتناغم وينسجم قلبك مع الوجود، يولد الإبداع.

ليس بإمكان الفكر أن يكون مبدعاً. لا يمكنه سوى إنتاج النفايات. إنه يُنتج ولا يخلق. وما هو الفرق بين الإنتاج والخلق؟ الإنتاج هو نشاط آلي. يمكن للكومبيوتر أن يقوم بهذا العمل - وهو تقوم بذلك على كل حال، ويقوم بها بطريقة أكثر فعالية من الإنسان. إن الذكاء يخلق ولا يُنتج. والإنتاج هو عمل تكراري: تقوم بصنوع ما صنّعته في السابق. والخلق يعني جلب الجديد إلى الوجود، وإفساح المجال للمجهول لاختراق المعلوم، إفساح المجال للسماء أن تأتي إلى الأرض.

عندما يوجد بيتهوفن، أو كاليداس، أو مايكل أنجلو، تفتتح السماوات، وتنتشر الأزهار من البعيد. أنا لا أتكلّم عن الأنبياء، لسبب مُعيّن: لأن ما خلقوه هو مُرَهَف للغاية لا يمكنك أن تتلمّسه. ما خلقه مايكل أنجلو أو فان غوغ هو ماديّ يمكن رؤيته. وما يخلقه الأنبياء غير مرئي. وهو بحاجة لنوع آخر من التقبّل لفهمه. لنفهم الرُسلَ يجب أن تكون ذكياً. لا لأنّ ما خلقه النبي هو في غاية الذكاء، بل لأنه في مُنتهى الروعة ويفوق الفكر، ولفهمه يجب أن تكون ذكياً. الفكر لن يساعد حتى في الفهم.

هناك نوعان من الناس قادران على الخلق - الشعراء والصوفيون. الشعراء يخلقون في العالم المادي الظاهر والصوفيون يخلقون في العالم المُرَهَف. الفنانون يخلقون في العالم الخارجي - لوحة، قصيدة، أغنية، لحناً موسيقياً، رقصة - والصوفيون يخلقون في العالم الداخلي.

ما يخلقه الفنان موضوعي وما يخلقه الصوفي ذاتي، داخلي كُلياً. وعليك أولاً أن تفهم الشاعر، وبعد ذلك فقط يمكنك أن تأمل أنك في يوم من الأيام ستفهم الصوفي. والصوفي هو أعلى درجات الإبداع. ولكن قد لا ترى أي شيء مما يخلقه الصوفي.

الحكيم لم يرسم أي لوحة، ولم ينظم قصيدة، ولم يُغن أي أغنية. لم يشاهده أحدٌ يرقص. إذا نظرت إليه، تراه يجلس صامتاً فحسب؛ وجوده الكلي هو الصمت. نعم، هناك سحر يحيط به، سحر في مُنتهى الجمال، جمال لا مثيل له، ولكن يجب أن تكون مُرهِف الإحساس لتشعر به.

يجب أن تكون في غاية الانفتاح، ولا يمكنك أن تكون مشاهدًا في حضور الحكماء. يجب أن تكون مشاركًا، لأنه سرٌّ يجب المشاركة فيه. عندها سترى ما الذي يخلقه. إنه يخلق الوعي، والوعي هو أنقى وأسمى شكلٍ من أشكال التعبير.

الأغنية جميلة، والرقصة جميلة لأن فيها شيئاً إلهياً. ولكن في الأنبياء والحكماء يتواجد الله بكليته. النشاط الفكري قد يجعلك خبيراً في بعض الأشياء، وهو مُفيد وفَعَال. ولكنه يتلمس الأشياء في العتمة. إنه لا يرى، لأنه ليس تأملياً. الفكر مُستعار، وليس لديه قدرة استبصار ذاتية. دعني أخبر هذه القصة:

تمكن آرثر لعدة أسابيع من الإجابة بسهولة على الأسئلة التي طُرحت عليه في برنامج معلومات تلفزيوني. أصبح الآن مؤهلاً للجائزة الكبرى بقيمة 100 ألف دولار. لهذا السؤال الأخير كان يحق له أن يستعين بخبير للإجابة عنه. وبالطبع اتصل آرثر بعالم في السلوك الجنسي في فرنسا.

كان السؤال: «إذا كنت ملكاً خلال السنوات الخمسين الأولى من المملكة الآشورية، ما هي المواضيع الثلاثة من جسم زوجتك التي كان يُتَوَقَّع منك أن تُقبَلها ليلة زفافك؟».

الجوابان الأولان حضرا بسرعة. أجاب آرثر: «شفتاها وعنقها».

والآن حين لم يعثر على جواب للموضوع الثالث، اتصل آرثر بالخبير. وهذا الخبير الفرنسي رفع يديه عاليًا وتأوه: «يا صديقي لا تسألني. لقد كنت مخطئاً مرتين».

الخبير، الواسع المعرفة، المفكّر، ليس لديه أي استبصار ذاتي. إنه يعتمد على معلومات مستعارة، على التقاليد، على الأشياء المنقّقة عليها. إنه يحمل مكنتات في رأسه، وهذا عبء ثقيل، ولكن لا يتمتع بأي رؤية. إنه يعرف الكثير من غير أن يعرف أي شيء على الإطلاق.

وبما أن الحياة لا تبقى على حالها أبداً - إنها تتغيّر باستمرار من لحظة إلى أخرى - يتخفّ الخبير في معرفته، وإجاباته هي دائماً غير مناسبة. وهو لا يستطيع أن يقَدِّم إجابات، بل ردود فعل، لأنه ليس عفويًا. لقد سبق أن توصل إلى خلاصاته. إنه يحمل أجوبة جاهزة - والأسئلة التي تطرحها الحياة هي دائماً جديدة.

يُضاف إلى ذلك أن الحياة ليست بظاهرة منطقية، وأن الإنسان المفكّر يعتمد المنطق في سلوكه؛ وهكذا نرى أنه لا يوجد أي توافق بين المفكّر والحياة. بالطبع، الحياة ليست بحالة ضياع وإنما المفكّر هو في حالة ضياع. إنه يشعر دائماً بأنه طارئ على هذه الحياة. إذا تمسكت بشدّة بالمنطق، لن تتمكن من أن تكون جزءاً من الحياة في هذا الوجود.

الحياة تتعدّى المنطق. إنها تناقض، إنها سرٌّ.

غاناواي Gannaway وأوكايسي OCCasey وافقا على المباراة بالمسدسات.

غاناواي كان بديئاً جداً وعندما رأى خصمه النحيل في مواجهته اعترض للحكم:

«إن حجمي هو ضعف حجم خصمي، إذًا يجب أن أقف على مسافة تبعد عن خصمي ضعفي المسافة التي يبعد فيها عني».

«أنت مُحقٌّ كُليًّا ولكن كيف يمكنك أن تفعل ذلك؟» «تمهل» أجاب الحكم الآخر. «سوف أصحح الوضع حالاً». ثم أخذ قطعة طبشور من جيبه ورسم خطين على سُترة الرجل البدين، تاركًا بقعةً بينهما.

«الآن» قال مخاطبًا أوكايسي، الرجل النحيل «أطلق مسدسك الآن، وتذكر أن كل إصابة خارج هذه البقعة لا تُعدّ لصالحك».

لقد حل الحكمُ المشكلة بطريقة حسابية ومنطقية! ولكن الحياة ليست منطقية وحسابية لهذه الدرجة. يحيا الناس حياتهم الفكرية بطريقة منطقية - المنطق يعطيهم الإحساس كما لو أنهم يعرفون. إن كل ما تفعله من خلال الفكر لا يتعدى الاستنتاج. إنه ليس اختبارًا للحقيقة، بل استنتاج مبني على المنطق - ومنطقتك هو من اخترعك.

قد يتوصّل الفكر إلى بعض الاستنتاجات، ولكنّه ظاهرة لاواعية. إنك تتصرّف وكأنك في حالة نوم.

الذكاء هو اليقظة، وإذا لم تكن في حالة يقظة، فكل قرار تتخذه سيكون خاطئًا، لأنك توصلت إليه وعقلك في حالة لاوعي.

ولكي تجعل الذكاء يُوجّه نشاطك، لا تحتاج لمزيد من المعلومات بل لمزيد من التأمل. يجب أن تُصبح أكثر صمتًا، وأقلّ تفكيرًا. يجب أن يتغلّب قلبك على عقلك. يجب أن تصبح واعيًا للسحر الذي يُحيط بك - السحر الذي هو الله، الحياة، الأشجار الخضراء، الأزهار الحمراء، الإنسان. السحر في كل مكان! كل شيء سحريّ، ولكن بسبب فكرك تبقى منغلّقًا على ذاتك، متمسكًا باستنتاجاتك التي توصلت إليها بحالة لاوعي، أو استعرتها من أناس في حالة لاوعي مشابهة لحالتك.

الذكاء مُبدع بكل تأكيد، لأنه يُجنّد الطاقة الكُلية في أي فعل وليس جزءًا منها فقط. الذكاء يُحرّك وجودك بكُليته؛ يُحرّك كلّ خلية من كيانك ويجعلها ترقص بتناغم مع الكلّ.

هذا هو الإبداع: أن تنبض بتناغمٍ مُطلقٍ مع الكلّ. وتبدأ الأمور بالحدوث تلقائيًا. يبدأ قلبك بإنشاد أغاني الفرح وتبدأ يداك بتحويل الأشياء. تلمس التربة فتصبح زهرة اللوتس. ولكن هذا لا يصبح ممكنًا إلا من خلال تفتُّح الذكاء والقلب.

العقيدة

المبدع ليس لديه أية مُعتقدات. كلّ ما لديه هو تجاربه الخاصة. وجمال التجربة أنها دائماً مفتوحة وتسمح بالقيام باستكشافات جديدة. المعتقد مُغلق؛ يأتي إلى نهاية محتومة. والتجربة لا تنتهي، وهي دائماً غير مُكتملة. كيف يمكن لتجربتك أن تنتهي ما دمت حياً؟ تجربتك تنمو وتتغيّر. إنها تتحرّك باستمرار من المعلوم إلى المجهول ومن المجهول إلى الذي لا يمكن إدراكه. تذكّر أن جمال التجربة هو أنها غير نهائية، غير مُكتملة. أجمل الأغاني، والكتب والفنون هي غير المكتملة.

لقد سمعتُ هذه الحكاية الرمزية:

ذهب أحد الملوك إلى أحد معلّمي الزن ليتعلّم فنّ العناية بالحدائق. علّمه المعلّم لمدة ثلاث سنوات - كان للملك حديقة جميلة يعمل فيها آلاف من الجنائبيين - وكان الملك يُطبّق كلّ ما تعلّمه في حديقته. بعد ثلاث سنوات أصبحت الحديقة نامية ومكتملة فدعا الملك المعلّم لكي يأتي ويشاهد حديقته. وكان الملك في غاية التوتر لأن المعلّم كان متشددًا في تقييم أعمال تلامذته. وهو الآن كتلميذ ينتظر نتائج الإمتحان. هل يحصل على تقييم جيّد؟

كانت الحديقة في غاية الكمال، لا ينقصها شيء عندما دعا الملك المعلّم لمشاهدتها. ولكن المعلّم بدا غير راضٍ عمّا شاهده منذ البداية. وكلّما تنقّل في أنحاء الحديقة بدت على وجهه علامات عدم الرضا. تملك الملك الخوف. إنه لم يرَ المعلّم بهذه الحالة من قبل. لماذا تبدو علامات عدم الرضا على وجهه؟ هل هناك أي نقص في الحديقة؟

كان المعلّم يهزّ برأسه بصورة منكرّة ويردّد كلمة «لا».

سأله الملك: «ما المشكلة يا سيدي؟ هل هناك خطأ ما؟ لماذا لا تُخبرني؟ تبدو غير راضٍ عن وضع الحديقة، لماذا؟ أين الخطأ؟ أنا لا أرى أية أخطاء، لقد طبّقت جميع الإرشادات التي تلقيتها منك في هذه الحديقة».

قال المعلّم: «إن الحديقة في غاية الكمال لدرجة أنها تبدو ميتة. لذلك أنا أهز رأسي وأردد كلمة لا. أين الأوراق الميتة؟ أين الأوراق اليابسة؟ أنا لا أرى ورقة يابسة واحدة! لقد أزيلت جميع الأوراق اليابسة والصفراء من الممرات والأشجار. «أين تلك الأوراق؟».

قال الملك: «لقد طلبت من الجنائبيين أن يزيلوا كل شيء، لتبدو غاية في الكمال».

قال المعلّم: «لهذا السبب تبدو باهتة، مصنوعة من قبل الإنسان. ما يصنعه الله لا ينتهي ويكتمل». ثم ذهب إلى خارج الحديقة حيث تكدّست جميع الأوراق اليابسة. أحضر بعض الأوراق اليابسة في دلوٍ ورمها في الهواء، فأخذتها الرياح ونثرتها في الممرات ثم بدأت بتحريكها. قال المعلّم: «أنظر، إنها تبدو حيّة الآن!». ثم دخل صوتٌ مع الأوراق اليابسة، موسيقى الأوراق اليابسة تتلاعب بها الرياح. الآن أصبحت الحديقة ناطقة؛ كانت باهتة وميتة كالمقبرة. وهذا الصمت لم يكن حياً.

قابلتُ امرأةً منذ أيام قليلة. قالت لي إنها تكتب قصة وأنها كانت حائرة كيف تنهيها. لقد وصلت لمرحلة كان بإمكانها إنهاء القصة، ولكن كان لا يزال هناك إمكانية لإطالتها؛ إنها لم تكتمل بعد. قلت لها: «أنهي القصة، أنهئها قبل أن تكتمل - عندها سيكون لها طابع غامض».

لا يمكن لقصة أن تكون جميلة إذا كانت مكتملة كلياً. ستكون خالية من الحياة. إن التجربة الإنسانية مفتوحة دائماً - وهذا يعني أنها غير مكتملة. أما المُعتَقَد فهو دائماً مُكتمَل. عقلك هو مجموعة مُعتقداتك. والإِنفتاح يعني لاعقل No-mind؛ الإِنفتاح يعني أن تضع عقلك جانباً وأن تنظر إلى الحياة مرة بعد مرة بطريقة جديدة وليس من خلال عينيك القديمتين اللتين هما من صنَع العقل.

أنظر إلى الحياة من خلال اللاعقل، أنظر من خلال العدم، عندما تنظر من خلال اللاعقل، سيكون إدراكك فعالاً، لأنك سترى الأمور على حقيقتها. والحقيقة تُحرّر. كلُّ شيءٍ آخر يخلق القيود. وحدها الحقيقة تُحرّر.

في لحظات اللاعقل هذه، تبدأ الحقيقة بالتسرّب إليك كالنور. كلما ازداد تمتّعك بهذا النور، بهذه الحقيقة، ازدادت شجاعتك وقدرتك على التخلّي عن عقلك. عاجلاً أم آجلاً سيأتي يوم تتحقّق فيه أن ليس لديك عقل. أنت لا تبحث عن أي شيء، أنت تنظر فحسب. نظرتك نقيّة. وفي هذه اللحظة تُصبح أفالوكيتا Avalokita، أي الشخص الذي ينظر من خلال عيون نقيّة. وهذا أحد أسماء الحكيم - أفالوكيتا.

ليس للإبداع أي علاقة بأي نشاط مُعيّن - الرسم، الشعر، الغناء، الرقص - كل نشاط يمكن أن يتحلّى بالإبداع، وأنت من يُضفي هذه المزيّة على النشاط. ليس النشاط بحدّ ذاته مُبدعاً أو غير مُبدع. يمكنك أن ترسم أو تغني بطريقة غير مُبدعة. كما يمكنك أن تطبخ أو تنظف أرض المنزل بطريقة مُبدعة. الإبداع هو توجّه داخلي، إنه نظرتك الشخصية للأشياء.

إذاً، إن أول ما يجب أن نتذكره هو أن لا نحصر الإبداع بنشاطات مُعيّنة. الشخص هو المبدع - وإذا كان الشخص مُبدعاً، فكلّ ما يفعله يتحلّى بالإبداع. حتى عندما يجلس صامتاً ولا يقوم بأي عمل. إن الحكيم الجالس تحت شجرة البوداي والذي لا يقوم بأي عمل هو أعظم مُبدع عرفه العالم.

عندما تُدرك ذلك - أنك أنت، هو المُبدع أو غير المُبدع - تختفي مشكلة الشعور بعدم الإبداع. لا يمكن أن يكون كلّ إنسان رسّاماً أو شاعرًا، ولا حاجة لذلك. لو كان الجميع رسّامين أو شعراء لاستحالت الحياة. ولكن يمكن لكل شخص أن يكون مُبدعاً.

مهما كان الذي تفعله، إذا فعلته بفرح، بمحبّة، من دون التفكير بالربح المادي، سيتحلّى بالإبداع. وكلّما كنت خلاقاً اقتربت من الألوهية. إن كل أديان العالم تقول إن الله هو الخالق. ومهما كان الأمر، أنا أكيد من أمر واحد: كلما ازداد إبداعك، اقتربت من الألوهية. الله هو الخالق، والأشخاص الخلاقون هم الأقرب إليه.

أحبّ ما تعمل. كُنْ تأملياً عندما تعمله بمعزل عن نوع العمل. عندها ستدرك أنه حتى تنظيف المنزل يمكن أن يكون عملاً مُبدعاً.

الإبداع يعني أن تحبّ كل ما تفعله - أن تفرح وتحتفل! قد لا يعلم أحد بما فعلت - من سيمتدحك لتنظيف أرض المنزل؟ لن يذكر التاريخ هذا العمل، ولن تنشر الصحف اسمك وصورتك، ولكن كل ذلك غير هام. لقد تمتّعت بما فعلت. تأتي المكافأة من الداخل.

إذا كنت تسعى وراء الشهرة من خلال أعمالك المُبدعة، لا يمكنك أن تكون مُبدعاً حقيقياً. أنت إذاً سياسي وطموح. ولكن يجب أن يكون الأمر سيّان بالنسبة لك إذا حصلت على الشهرة أو لم

تحصل عليها. يجب أن لا تكون الشهرة هي المِغيار. يجب أن يكون المِغيار حُبَّك لما تفعله وتمتّعك به. أشياء صغيرة تصبح عظيمة بلمسة حُبّ.

ولكن إذا كنت تعتقد أنك غير مُبدع، ستصبح غير مُبدع - لأن المُعتقد ليس مُعتقدًا فحسب. إنه يفتح أبوابًا ويُغلق أبوابًا. إذا كان لديك اعتقاد خاطئ، ستُغلق الأبواب في وجهك. إذا كنت تعتقد أنك غير مُبدع، ستصبح غير مُبدع، لأن هذا الاعتقاد سيمنع طاقتك من التدفّق لأنك تستمر بالقول: «أنا غير مُبدع».

لقد تعوّدنا منذ الطفولة على سماع هذا القول: «أنت غير مُبدع». قلة هم الأشخاص الذين نقبلهم كمُبدعين. واحد في المليون. هذا في مُنتهى الغباء، لأن كل إنسان هو شخص مُبدع منذ الولادة. راقب الأطفال وسترى ذلك: كل الأطفال مُبدعون. ولكن بصورة تدريجية، نقضي على إبداعهم. تدريجيًا نرغمهم على تبني معتقدات خاطئة. تدريجيًا نجعلهم طموحين، مسيّسين، ويسعون وراء الثروة والشهرة.

عندما يدخل الطموح، يختفي الإبداع. لأن الرجل الطموح لا يحبّ أي نشاط لمجرد التمتع به. وعندما يقوم بأي عمل فهو ينظر إلى المستقبل؛ ويسأل نفسه قائلاً: «متى سأفوز بجائزة نوبل؟» بينما الرجل الخلاق لا يفكر إلا في اللحظة الآتية.

نحن نُدمّر الإبداع. ما من أحد يولد غير مُبدع. ولكن نحن نجعل 99% من الناس غير مُبدعين. أن نرمي بالمسؤولية على المجتمع لن يجدي نفعًا. يجب أن يتحمّل كلُّ منّا مسؤولية حياته الشخصية. يجب أن نتخلّى عن التطبيقات الخاطئة. يجب أن نتخلّى عن الإيحاءات التي تلقيناها منذ الطفولة. طهر نفسك من جميع أنماط السلوك الطبيعية... وسترى أنك شخص مُبدع.

أن تكون وأن تكون مبدعًا، هما نفس الشيء. من المستحيل أن تكون وأن لا تكون مُبدعًا. ولكنّ هذا المستحيل قد حصل، هذه الظاهرة البشعة حصلت لأن جميع طاقتك المُبدعة أُعيقَت ودُمّرت وحُوّلت إلى نشاطات يعتقد المجتمع أنها مُربحة. لقد أصبح توجّهنا في الحياة ماديًا. والمال هو من أقلّ الأشياء إبداعية. نحن لا نهتمّ إلا بالقوة، والقوة مُدمّرة وليست خلاقية. والشخص الذي يسعى وراء المال سيصبح مُدمّرًا، لأنه سيستخدم السطو والاستغلال للحصول على المال. إن القوة تعني أنك ستحوّل عددًا كبيرًا من الناس إلى أشخاص عاجزين؛ عليك أن تدمّرهم؛ هذا هو السبيل الوحيد لتصبح قويًا.

الإنسان الخلاق يُضفي جمالاً على العالم؛ إنه يعطي شيئاً للعالم ولا يأخذ منه - أغنية هنا ولوحة رسم هناك. إنه يجعل العالم يُحبّ، يبتهج، يتأمل بطريقة أفضل. وعندما يرحل من هذا العالم، يترك عالمًا أفضل ورائه. قد يعرفه أو لا يعرفه أحد، لا فرق في ذلك - ولكنه يترك عالمًا أفضل ورائه.

إن المال، والقوة، والمكانة، لا تمتّ للإبداع بصلة. - ليس ذلك فحسب بل إنها نشاطات مُدمّرة. قد لا يُحقّق الإبداع لك الثروة، أو القوة، أو المكانة. على عكس ذلك قد يجبرك على العيش عيشة الفقراء. ولكن يمكنني القول أنك تشعر في أعماقك بأنك أغنى رجل في العالم؛ ستكون مليئًا بالفرح والاحتفال. وسوف تكون حياتك حياة مباركة ومليئة بالنعم.

قد لا تصبح شهيرًا، وقد لا تمتلك الكثير من المال، وقد لا تنجح في العالم. ولكن النجاح في هذا العالم هو فشل في العالم الداخلي. ماذا ستفعل بهذا العالم الذي ملكته إذا خسرت نفسك؟ إن الرجل المبدع هو شخص يملك ذاته؛ إنه معلّم.

كُنْ معطاءً. شارك بكل ما تملكه - وتذكّر أنني لا أفرق بين الأشياء الكبيرة والأشياء الصغيرة. إذا كان باستطاعتك أن تبتسم من أعماق قلبك، أن تُمسك بيد أحدهم وتبتسم، تكون قد قمت بعمل في غاية الإبداع. وأن تعانق شخصاً ما، أن تنظر إليه بنظرة حُبِّ، قد يُغيّر عالمه كلياً.

كُنْ خلاقاً. وُظِّفَ كُلَّ طاقتك بما تفعله. عندها يصبح عملك نوعاً من العبادة والصلاة. تخلّ عن كل المعتقدات التي تُشعرك بأنك غير مُبدع. أنا أعرف كيف تكوّنت هذه المعتقدات - قد لا تكون حاملاً ميدالية ذهبية في الجامعة، وقد لا تكون الأول في صفّك، وقد لا تكون رسّاماً بارعاً أو عازفاً مُميّزاً، لكن لا تدع هذه الأشياء توهمك بأنك شخص غير مُبدع.

قد يكون السبب في ذلك أنك تُقلّد الآخرين. ليس لدى الناس فكرة محدّدة عن الإبداع - العزف على القيثارة أو المزار أو كتابة الشعر - وهكذا يكتب الناس التفاهات على أنها الشعر. يجب أن تتحقّق من الأشياء التي يمكنك أن تفعلها والعكس. لا يستطيع كل شخص أن يفعل كل شيء! يجب أن تبحث عن قدرك وتجدّه. يجب أن تتلمّسه في الظلمة.

لو أُعْطِيتَ لك خارطة حياتك عند الولادة - «هذه ستكون حياتك، ستصبح عازف قيثارة» - عندها ستكون حياتك آلية. يمكننا فقط التنبؤ بسلوك الآلة وليس الإنسان. الإنسان غير قابل للتنبؤ. الإنسان هو دائماً إكّانيّة لآلاف من الأشياء. تنفتح له أبواب عديدة عند كل خطوة وعليه أن يختار.

إذا أحببت الحياة، ستكون مُبدعاً. إذا أحببت شيئاً آخر، المال على سبيل المثال، لن تُصبح مُبدعاً. إنّ مُجرّد الطموح بالمال سيدمّر قدرتك على الإبداع. إذا أردت الشهرة، أصرف النظر عن الإبداع. قد تحصل على الشهرة بسهولة أكثر إذا كنت هداماً. تأتي الشهرة بسهولة أكثر لأدولف هتلر. تتحقّق الشهرة بسهولة أكثر إذا كُنْتَ منافساً عنيقاً، إذا كان بإمكانك أن تقتل وتدمّر الناس.

التاريخ بكامله هو تاريخ القتل. إذا أصبحت قاتلاً، ستحصل على الشهرة بسهولة. يمكنك أن تصبح رئيس وزراء أو رئيس جمهورية ولكن هذه المراكز ما هي إلا أقنعة. خلف هذه الأقنعة ستجد أشخاصاً في مُنتهى العنف ولكنهم بيتسمون. هذه الابتسامات هي ابتسامات دبلوماسيّة. إذا نزعنا الأقنعة سنجد جنكيز خان، تيمورلانك، نابليون، الإسكندر، هتلر يختبئون خلفها.

إذا أردت الشهرة، لا تتكلم عن الإبداع. أنا لا أقول أن الشهرة لا تأتي إلى المبدعين. إنها تأتي ولكن بشكل نادر. هذا الأمر يشبه الحادث ويتطلب كثيراً من الوقت. في معظم الأوقات، عندما تأتي الشهرة لشخص مُبدع، يكون قد رحل - إنها تأتي دائماً بعد الممات.

يسوع لم يكن مشهوراً في أيامه. لولا الإنجيل، لما كان له سجلّ في التاريخ. السجلّ يعود إلى تلاميذه الأربعة. لم يكن مشهوراً ولكنه تدريجياً وبعد مرور وقت طويل حصل على الشهرة.

كلّما كان الشخص عظيماً احتاج إلى مزيد من الوقت ليحظى بتقدير الناس - لأنه عندما يولد شخص عظيم، لا يوجد معيار لتقييمه. ويجب عليه أن يخلق قيمه؛ وفي الوقت الذي يكون قد خلق قيمه يكون قد رحل. قد يتطلب الأمر مئات السنين في بعض الأحيان ليحصل الشخص المبدع على التقدير، وهذا ليس بالأمر الأكيد أيضاً. هناك الكثير من الأشخاص المُبدعين الذين لم يحصلوا على أي تقدير.

إذا كنت تبحث عن شيء آخر باسم الإبداع، فالأجدى لك أن تتوقف عن التفكير بالإبداع. على الصعيد الواعي على الأقل، إفعل ما تريده. لا تختبئ وراء الأقنعة. إذا أردت فعلاً أن تكون خلاقاً، يجب فعلاً أن تتخلى عن فكرة المال، والنجاح، والمكانة، والاحترام - عندها تستمتع بنشاطك، عندها يمنحك العمل الذي تقوم به شعوراً بالاكتمال الداخلي. أنت ترقص لأنك تحبّ الرقص. إذا لاقى رقصتك التقدير والإعجاب، ستشعر بالامتنان. وإذا لم تلقَ أي تقدير وإعجاب، لا تقلق لذلك. لقد رقصت، وتمتعت بالرقص وشعرت بالاكتمال الذاتي.

ولكن مجرد التفكير أنك غير مُبدع هو أمر خطير. لا وجود لشخص غير مُبدع. حتى الأشجار والصخور مُبدعة. إنها تخلق فسحتها الخاصة. ولكل شجرة وصخرة طريقها الخاصة بالإبداع.

يقال أن أحد معلمي الزن كان قادراً على إزاحة صخور كبيرة بالرغم من هُزال بُنيته. كان من المستحيل على أي شخص قوي أن يزيح هذه الصخور التي كان يزيحها بسهولة.

سأله أحدهم عن الحيلة التي كان يستخدمها لإزاحة هذه الصخور فقال: «لا أستخدم أي حيلة - أنا أحبّ الصخرة، لذلك فإنها تساعدني. أولاً أقول لها: «إنّ سمعتي بين يديك ولقد جاء هؤلاء الناس لمشاهدتي أقوم بإزاحتك. الآن ساعديني». ثم أمسك الصخرة بحمّة وانتظر إشارة منها. عندما تُعطيني الصخرة الإشارة بأنها جاهزة، أقوم بإزاحتها. أنتم تحاولون إزاحة الصخرة رغماً عنها، لذلك تحتاجون لطاقة كبيرة. أنا أتحرّك مع الصخرة، أنا أنساب مع الصخرة. في الواقع، من الخطأ القول أنني أزحت الصخرة - أنا هناك فحسب. الصخرة تحرّك نفسها».

كان أحد معلمي الزن العظماء نجاراً، وكانت الطاولات والمقاعد التي يصنعها تفوق الوصف بروعتها وجاذبيتها. سأله أحدهم: «كيف تصنعها؟».

قال: «أنا لا أصنعها. أنا أذهب إلى الغابة فحسب... الأمر الأساسي أن أستوضح من الغابة أي شجرة جاهزة لتصبح كرسيّاً».

هذه الأشياء تبدو سخيفة لأننا لا نعرف لغة الغابة. كان المعلم يبقى في الغابة لمدة ثلاثة أيام متواصلة حيث كان يجلس تحت شجرة، ثم أخرى، ثم أخرى ويخاطبها - لقد كان رجلاً مجنوناً! وكما أننا نحكم على الشجرة بثمارها، يجب أن نحكم على المعلم بقدرته على الخلق. لا تزال بعض الكراسي التي صنعها موجودة في الصين وهي في غاية الجاذبية. عندما تنظر إليها تشعر بانجذاب قوي ولا تدري ما الذي يشدك إليها.

لقد قال: «أنا أذهب وأقول إنني أبحث عن شجرة تريد أن تصبح كرسيّاً. أسأل الأشجار إذا كانت ترغب في ذلك وإذا كانت مُستعدة للتعاون والذهاب معي. عند ذلك فقط أختار الشجرة. بعض الأحيان لا أجد أي شجرة جاهزة لأن تصبح كرسيّاً فأعود إلى المنزل خالي اليدين».

طلب منه إمبراطور الصين أن يصنع له خزانة كُتِبَ فذهب إلى الغابة وعاد إلى الإمبراطور بعد ثلاثة أيام وقال له: «يجب أن تنتظر، لا يوجد شجرة تريد المجيء إلى القصر».

بعد مضي ثلاثة أشهر سأله الإمبراطور مُجدّداً إذا كان قد صنع له الخزانة فأجابته: «أنا أذهب إلى الغابة باستمرار وأحاول إقناع الأشجار - انتظر، يبدو أنني تمكّنت من إقناع شجرة».

في النهاية أقنع إحدى الشجرات فقال للإمبراطور: «هنا يكمن الفنّ بمجمله! عندما تأتي الشجرة بإرادتها فإنها بذلك تطلب مساعدة النجار».

إذا كنتَ مُحبًّا ستري أن كل ما في الوجود له فرديته المميزة. لا تدفع أو تسحب الأشياء. راقب، تواصل، اطلب مساعدتها - ستوفرُ بذلك قِسْطًا كبيرًا من الطاقة.

حتى الأشجار والصخور مُبدعة. أنت إنسان، ذروة الوجود. أنت في أعلى القمة وأنت واع. لا تدع الأفكار الخاطئة التي تُصوّر لك أنك غير مُبدع تُسيطر عليك. قد يكون والدك أو أحد زملائك قال لك إنك غير مُبدع. من الجائز أنك كنت تبحث عن قدراتك الإبداعية في المجالات الخاطئة. في مجالات لا تتحلّى فيها بالإبداع. ولكن لا بد أن هناك مجالاً مُعيّنًا يمكن أن تكون فيه مُبدعًا. ابحث واستمرّ في البحث حتى تجد المجال الذي تُبدع فيه.

يأتي كل شخص إلى هذا العالم مع قدر مرسوم - يجب أن يحقّق شيئًا، أن يؤدي رسالة، أو ينجز عملاً مُعيّنًا. أنت لست هنا بالصدفة - إن لوجودك معنى وغاية. يهدف الوجود لتحقيق شيء ما من خلالك.

لُعبة الشهرة

لقد جرى تلقيننا منذ الولادة أن حياتنا لا قيمة لها إذا لم نحصل على تقدير الآخرين لُقدراتنا. لا أهمية للعمل الذي نقوم به وإنما لتقدير الآخرين لنا - هذا قلبُ للمفاهيم. يجب أن يكون العمل في غاية الأهمية، مُتعةً بحد ذاته. يجب أن تعمل لا لتحصل على تقدير الآخرين وإنما لأنك تستمتع بكونك مُبدعًا وتستمتع بعملك.

هكذا يجب أن ننظر إلى الأمور - أنت تعمل لأنك تُحبّ عملك، لا تنتظر التقدير. إذا حصلت على التقدير لا بأس في ذلك، تقبله بتواضع؛ وإذا لم تحصل عليه، لا داعي للقلق. ولو تعلّم كلُّ منّا هذا الفن - أن نُحبّ عملنا مهما كانت طبيعته وأن نستمتع به دون أن ننتظر أي تقدير من الآخرين - لكان عالمنا في غاية الجمال والسعادة.

كما هي الحال، لقد أوقعك العالم في نمط حياة مليئة بالشقاء. أنت تقوّم أعمالك تبعًا لتقديرات الآخرين والمكافآت التي تتلقاها منهم لهذا العمل كالميداليات الذهبية، وجائزة نوبل، وليس لأنك تُحبّ هذا العمل وتؤدّيه بطريقة مُبدعة. لقد جرّدوا الأعمال المُبدعة من قيمتها الذاتية ودمّروا حياة ملايين من الناس - لا يمكن إعطاء جائزة نوبل لملايين الناس. لقد خلقوا رغبة الحصول على تقدير الآخرين في كلِّ منّا فحرمونا جميعًا من التمتع بالعمل بصمت ومحبّة. والحياة هي مجموعة أشياء صغيرة. ولا توجد مكافآت لهذه الأشياء الصغيرة، لا ألقاب من قِبل الحكومات ولا درجات فخرية من قِبل الجامعات.

أحد أعظم شعراء القرن العشرين، رابيندرانات طاغور، عاش في البنغال، في الهند. نشر أشعاره ورواياته باللغة البنغالية - ولكنه لم يحصل على أي تقدير لأعماله. ثم ترجم كتابًا صغيرًا بعنوان Gitanjali، ويعني «تقديم الأغاني» إلى اللغة الإنكليزية. كان يُدرك أن النُسخة الأصلية باللغة البنغالية تفوق النسخة المترجمة جمالاً - لأن اللغتين تختلفان في البنية وطُرق التعبير. ذلك أن اللغة البنغالية هي في غاية النعومة، حتى عندما تخوض جدالاً عنيفًا تبدو وكأنك تشترك بمناقشة هادئة. كما أنّ لها وقعًا موسيقيًا. هذه الميّزات لا توجد في اللغة الإنكليزية، ومع ذلك فقد حصلت النسخة المترجمة على جائزة نوبل. بعد ذلك داعت شهرته في كل أرجاء الهند... لقد نشر الكتاب باللغة البنغالية ولغات هندية أخرى لعدة سنوات ولم يلاحظه أحد.

كل الجامعات أرادت منحه درجة دكتوراه فخرية. وأولها جامعة كالكوته حيث يعيش. رفض طاغور الدرجة الفخرية قائلاً: «أنتم لا تمنحوني هذه الدرجة لشخصي، أنتم لا تعطوني تقديرًا لعملي، أنتم تمنحون التقدير لجائزة نوبل - لأن كتابي كان موجودًا هنا بصياغة أجمل وأفضل، ولم يكتثر أحدٌ منكم حتى لكتابة مُراجعة نقدية للكتاب». رفض الدرجة الفخرية وقال: «هذه إهانة لي».

جان بول سارتر، أحد أعظم الروائيين، رفض جائزة نوبل. قال: «لقد حصلتُ على ما فيه الكفاية من المكافآت أثناء كتابة عملي. لا يمكن لجائزة نوبل أن تضيف أي شيء لذلك. على العكس، إنها تشدّني نحو الأسفل. إنها قد تعني شيئًا بالنسبة للهواة الذين يسعون للحصول على التقدير؛ أنا متقدّم في العمر ولقد حصلت على ما فيه الكفاية من المتعة. لقد أحببت كل الأعمال

التي كتبتها، وكانت هي المكافأة بحد ذاتها. وأنا لا أريد أية جوائز أخرى، لأنه لا يوجد جائزة أفضل من الجوائز التي حصلت عليها». ولقد كان مُحِقًّا. ولكنَّ الأشخاص المحقِّين قَلَّة في العالم. ولماذا الاهتمام بتقدير الآخرين؟ هذا الاهتمام لا يعني شيئاً إلا إذا كنت لا تحبَّ عملك؛ عندها قد يكتسب بعض المعنى، ويصبح البديل من حُبِّك لعملك. أنت تكرهُ عملك ولكنك تقوم به لأنك تتوقع الحصول على تقدير وقبول الآخرين. بدلاً من التفكير بالتقدير، يجب عليك إعادة تقييم عملك. هل تُحبَّ عملك؟ إذا أُجبت بنعم، أنت لست بحاجة لتقدير الآخرين. وإذا كنت لا تحبَّ عملك، يجدر بك أن تبحث عن عمل آخر.

الأهل والمدرسون يغرسون في رؤوس الأطفال أنهم بحاجة لقبول وتقدير الآخرين. هذه استراتيجية مخادعة لإبقاء الناس تحت السيطرة.

تعلِّم شيئاً واحداً: إفعل ما تريد فعله وما تُحبُّ فعله. ولا تطلب التقدير، هذا نوع من الاستجداء. لماذا يجب علينا أن نسعى للحصول على تقدير وقبول الآخرين؟ أنظر إلى ذاتك بتعمق. ربّما كنت لا تحبُّ العمل الذي تقوم به، وربما تقوم بالعمل غير المناسب، وهكذا فإن قبول وتقدير الآخرين يمنحك بعض الارتياح الذي لم تتمكن من تحقيقه في الداخل. يجعلك التقدير تشعر أنك تسعى وراء هدف مناسب.

الموضوع له علاقة بمشاعرك الداخلية وليس بالعالم الخارجي. ولماذا الاعتماد على الآخرين؟ أنا لن أقبل جائزة نوبل. إن مواقف الإدانة والتنديد التي حصلت عليها من جميع الدول والأديان لها قيمة أكبر بالنسبة لي. عندما أقبل جائزة نوبل، أتخلّى عن استقلاليّتي - لن أكون بعد ذلك فخوراً بنفسي بل بجائزة نوبل. أما الآن فأنا فخور بنفسي وبنفسي فقط.

بهذه الطريقة تُصبح فرداً مستقلاً. وأن تكون فرداً مستقلاً، يعيش حريته، يقف على قدميه، يشرب من منابعه الخاصة، هو ما يجعل الإنسان مُرتكراً ومتجذراً.

أولئك الأشخاص الذين يحظون بالتقدير والتكريم هم الذين ينتجون الأعمال التافهة والسخيفة. ولكن، ويا للأسف، تلك هي الأعمال التي يطلبها منهم المجتمع ويكافئهم عليها.

أي إنسان لديه شعور بفرديته يعيش من خلال حُبِّه وأعماله من غير أن يهتمّ لما يفكر به الآخرون. كلما كان عمله قيماً قلَّت احتمالات حصوله على تقدير الآخرين لعمله. وإذا كان عمله يتحلّى بالعبقريّة فلن يحصل على أي تقدير ما دام على قيد الحياة. سوف يُندد به ما دام حياً... ثم بعد مرور ثلاثة أو أربعة قرون، يُقيمون له التماثيل ويُغرقونه بكلّ مظاهر التبجيل والاحترام - لأن البشرية بحاجة إلى ثلاثة قرون على الأقلّ لتصل إلى مستوى ذكاء العبقري. الهوة واسعة جداً.

عندما تحصل على الاحترام من قبل الحمقى يجب أن تتصرّف وفقاً لطرقهم وتوقعاتهم. لتحصل على احترام هذا المجتمع المريض، يجب أن تكون أكثر مرضاً منه. ولكن ما الذي ستكسبه؟ سوف تخسر نفسك ولا تحصل على شيء بالمقابل.

أربعة مفاتيح

عندما تقوم بعمل خلاق، ستشعر بطعم الحياة - وسيتوقف ذلك على حماسك وكليتك. الحياة ليست مشكلة فلسفية، إنها سرّ ديني. من هذا المنطلق يصبح كل شيء بابًا للعبور، حتى تنظيف أرض المنزل. إذا يمكنك أن تنظف أرض المنزل بمحبة، بكليّة وإبداع. عندما تتمكن من ذلك، تتذوق الحياة.

كُن طفلاً من جديد

كُن طفلاً من جديد وستصبح مُبدعاً. جميع الأطفال مُبدعون. والإبداع بحاجة للحرية - التحرر من الفكر، من المعرفة والأفكار المُستبقة. والشخص المُبدع هو من يمكنه أن يُجرّب الجديد. وهو ليس إنساناً آلياً. الإنسان الآلي يعتمد التكرار. إذًا، كُن طفلاً من جديد. جميع الأطفال يولدون مُبدعين، ولكننا نُعرقل ونسحق إبداعهم؛ نبدأ بتعليمهم كيفية التصرف بالطرق الصحيحة.

تذكّر، أن الشخص المُبدع يجرب دائماً الطرق الخاطئة. وإذا اتبعت الطرق الصحيحة في أعمالك، لن تكون مُبدعاً أبداً، لأن اتّباع الطرق الصحيحة يعني اتّباع الطرق التي اكتشفها الآخرون. والطرق الصحيحة تعني بالطبع أنك ستتمكن من صنع شيء ما، ستصبح منتجاً، مُصنّعاً، تقنياً، ولكن لن تصبح مُبدعاً.

ما هو الفرق بين المنتج والمُبدع؟ المنتج يعرف الطرق الصحيحة للقيام بعمل ما، يعرف أكثر الطرق السليمة اقتصادياً؛ أكثر قدرٍ من الإنتاج مقابل أقلّ قدرٍ من المجهود. المُبدع يجرب طرقاً عديدة. إنه لا يعرف ما هي الطرق الصحيحة لعمل الأشياء لذلك يبحث في اتجاهات مختلفة. وفي كثير من الأحيان يذهب في الاتجاه الخاطيء - ولكنه يتعلّم، يُغني تجربته، يصنع شيئاً لم يصنعه أحد من قبل. ولو اتّبع الطرق الصحيحة في صنع الأشياء، لما توصل إلى ما توصل إليه. أصغ إلى هذه الحكاية الصغيرة:

طلبت إحدى المدرّسات في مدارس الأحد الدينية من تلامذتها أن يرسموا العائلة المقدّسة. بعد أن أحضرت إليها الرسوم، رأت أن بعض الأطفال رسموا صوراً تقليدية - العائلة المقدّسة في الملعف، العائلة المقدّسة تمتطي بغلاً وأشياء مشابهة. ولكنها أرسلت بطلب طفل ليشرح لها رسمته التي كانت عبارة عن طائرة وفيها أربعة رؤوس تطل من نوافذ الطائرة. - قالت: «أنا أفهم كيف أنك رسمت ثلاثة رؤوس لتظهر يوسف ومريم وعيسى. ولكن لمن الرأس الرابع؟».

أجاب الطفل: «هذا رأس بونتيس Pontius الطيار».

هذا شيء رائع! هذا هو الإبداع، لقد اكتشف شيئاً. ولكن الأطفال فقط قادرون على ذلك. أنت كراشد لن تفعل ما فعله هذا الطفل لأنك تخشى أن تظهر بمظهر الأحمق.

يجب أن يتقبّل المُبدع الظهور بمظهر الأحمق. عليه أن يجازف بما يسمّونه الاحترام. لهذا ترى أن الشعراء، والرسامين، والراقصين، والموسيقيين، ليسوا أناساً على مستوى عالٍ من الاحترام. وعندما يصبحون في غاية الاحترام، تُعطى لهم جائزة نوبل، ويتوقفون عن الإبداع.

ماذا يحصل؟ هل سمعت بأي حائز على جائزة نوبل يقوم بعمل آخر له قيمة؟ هل رأيت أي شخص مُحترم يقوم بأي عمل مُبدع؟ لقد تملّكه الخوف الآن. إنه الآن دائم التفكير بما سيحصل لمكانته لو قام بأي عمل متدنّي النوعية. إنه لا يتحمّل أن يحصل له شيء من هذا القبيل. إذًا عندما يصبح الفنان مُحترماً، يفقد الحياة.

فقط أولئك الذين يضعون مكانتهم، وكرامتهم، واحترامهم على المحك مرة بعد مرة ويُقدّمون على أعمال لا يعتقد أي إنسان أنها ذات قيمة، هم المُبدعون. إن غالبية الناس تعتقد أن المبدعين مجانيين وغريبو الأطوار. لذلك لا يتلقون التقدير الذي يستحقونه إلا بعد زمن طويل.

تذكّر مجددًا أن كل طفل يولد ولديه القدرة لأن يصبح مُبدعًا. إن جميع الأطفال، من دون استثناء، يحاولون أن يكونوا مُبدعين، ولكننا لا نسمح لهم بذلك. نبدأ فورًا بتعليمهم الطرق الصحيحة لعمل الأشياء - وبعد أن يتعلموا الطرق الصحيحة لعمل الأشياء، يُصبحون أناسًا آليين Robots. ثم يستمرون بالقيام بكل الأعمال وفق الطرق الصحيحة وتزداد فعاليتهم مع مرور الوقت. وكلّما ازدادت فعاليتهم ازداد احترام الناس لهم.

ما بين سن السابعة والرابعة عشرة يحصل تغيير هامّ عند الأطفال. ولا يزال علماء النفس يدرسون هذه الظاهرة... لماذا تحصل وماذا يحصل؟

لكلّ منّا عقلان، دماغنا منقسم إلى قسمين. النصف الأيسر من الدماغ وهو القسم غير المُبدع - من الناحية التقنيّة هو شديد الفعالية ولكنه عاجز كليًا من الناحية الإبداعية. يمكنه القيام بأي عمل، فقط عندما يتعلمه - ويمكنه القيام به على أحسن ما يرام؛ إنه آلي. هذا القسم الأيسر هو القسم المختصّ بالتحليل والتفكير المنطقي والرياضي Mathematics. إنه القسم المنضبط والمنظم.

النصف الأيمن من الدماغ هو على عكس ذلك تمامًا. إنه نصف الفوضى وليس النظام؛ نصف الشعر وليس نصف النثر؛ نصف الحب وليس نصف المنطق. لديه إحساس مرهف بالجمال والأصالة - ولكنه غير فعّال. لا يمكن للمُبدع أن يكون فعّالاً، عليه أن يقوم بكثير من التجارب. المُبدع لا يمكنه أن يستقرّ في أي مكان. إنه جوّال، يحمل خيمته على كتفيه. والاستقرار يعني الموت بالنسبة له. وهو على استعداد دائم للمجازفة.

ولكن هذا النصف الأيمن من الدماغ يبدأ بالقيام بوظائفه فورًا بعد الولادة وقبل النصف الأيسر. ولكن نظام التدريس، ابتداءً من الحضنة مرورًا بالمدارس الابتدائية والثانوية وصولاً إلى الجامعات، يُدمّر النصف الأيمن وينقل الطاقة العقلية إلى النصف الأيسر. ويحصل ذلك على الأخصّ بين سن السابعة والرابعة عشرة.

بعد ذلك يصبح الطفل مواطنًا، يتعلّم الانضباط، اللغة، المنطق، النثر. يبدأ بالتنافس في المدرسة، يصبح أنانيًا، ويبدأ بتعلّم جميع الأنماط السلوكية العصابية الطاغية في المجتمع. يصبح اهتمامه محصورًا في المال والسلطة. كيف يحصل على منزل كبير، وسيارة فخمة، والكثير من المال. وهكذا يسيطر النصف الأيسر من الدماغ وتبدأ وظائف النصف الأيمن بالانحسار، بحيث تصبح ناشطة فقط في الأحلام أو عند تناول المخدّرات.

إن تعاطي المخدّرات على نطاق واسع في الغرب ما هو إلا نتيجة نجاح الغرب بتدمير النصف الأيمن من الدماغ كليًا من خلال نظام التعليم الإلزامي. لقد أصبح الغرب مثقّفًا جدًّا - ذهب باتجاه واحد وبطريقة مُتطرّفة، باتجاه النصف الأيسر. والآن إذا لم يتمكّنوا من إعادة تنشيط وظائف النصف الأيمن في المدارس والجامعات، فلن يجدوا حلًّا لمشكلة المخدّرات. ولا يمكن حلّ مشكلة المخدّرات بواسطة القانون فقط، وإنما يجب إعادة التوازن الداخلي إلى عقل الإنسان.

تكمُن جاذبية المخدّرات بأنّها تنقل الطاقة من النصف الأيسر إلى النصف الأيمن. هذا كل ما تفعله المخدّرات. والمُجرم ليس مُتعاطي المخدّرات، بل إن رجال السياسة والمسؤولين عن النظام التعليمي هم المذنبون. لقد حوّلوا الطاقة البشرية باتجاه واحد وبطريقة متطرّفة - ونتيجة لهذا التطرّف، هناك الآن حاجة مُلحة للثورة. لقد اختفى الشعر، والجمال والحب من حياة الإنسان. وأصبحت السلطة والمال والنفوذ هي الآلهة الآن.

كيف يمكن للبشرية أن تستمرّ في الحياة من دون حبّ، وشعر، وفرح، واحتفال؟ لن تستمرّ طويلاً بالطبع. والأجيال الطالعة تُظهر مدى سخافة النظام التعليمي. وليس من قبيل المُصادفة أن الذين يتعاطون المخدّرات يتركّون المدارس والجامعات. إن ذلك مظهر من مظاهر هذه الثورة.

بعد أن يتعوّد الإنسان على مُتعة المخدّرات، يُصبح من الصعب عليه أن يتخلّى عنها. ويمكن التخلّي عن المخدّرات فقط عندما توجد طرق بديلة لإطلاق الشاعرية في الإنسان. والتأمل هو أفضل الطرق. إنه غير مدمر أو مؤذٍ، وهو مُفيد جداً. كما أن التأمل يُوَدّي نفس الوظيفة. إنه ينقل الطاقة من النصف الأيسر إلى النصف الأيمن، ويحرّر قدراتك الداخلية على الإبداع.

إن النتائج السلبية التي يخلقها تعاطي المخدّرات في العالم لا يمكن تحاشيها إلا بطريقة واحدة، هي التأمل. لا يوجد طريقة أخرى. كذلك تعديل النظام التعليمي قد يُساهم في حلّ مشكلة المخدّرات بحيث يُدرّب التلامذة على استخدام النصف الأيسر والنصف الأيمن من الدماغ على السواء. هناك مناسبات يحتاج فيها الإنسان للنصف الأيسر - التفكير المنطقي والحسابي، إدارة الحياة اليومية. وهناك مناسبات أخرى يحتاج فيها الإنسان إلى النصف الأيمن - الفن، الحب، التأمل، الإبداع.

يجب أن نتذكّر دائماً أن النصف الأيسر هو الوسيلة والنصف الأيمن هو الغاية. يجب على النصف الأيسر أن يخدم النصف اليمين. النصف الأيمن هو السيّد - أنت تجني المال فقط لتنتعم وتحفل بالحياة. أنت تعمل لتتمكّن من اللهو - اللهو هو الهدف. أنت تعمل لتتمكّن من الاسترخاء. الاسترخاء هو الهدف وليس العمل.

إن القيم الأخلاقية المتعلقة بالعمل هي شيء من الماضي؛ ويجب أن نتخلّى عنها. يجب أن نُحدث ثورة في النظام التعليمي. يجب ألا نُلزم الأطفال أو أيّ من الناس على القيام بأنماط تكرارية. ما هو النظام التعليمي؟ هل نظرت إليه بتمعّن؟ إنه تدريب في عمليات الذاكرة. إنه لا يجعلك ذكياً، بل على العكس، يُلغي ذكاءك، يجعلك أحمق. جميع الأطفال يدخلون المدرسة أذكى، ولكن من النادر أن تصادف شخصاً ذكياً بعد تخرّجه من الجامعة. نعم، إنه يحمل شهادات جامعية، ولكنه دفع ثمناً باهظاً لهذه الشهادات: لقد خسر ذكاءه، لأنه دمر وظائف النصف الأيمن.

وما الذي تعلّمه؟ المعلومات. ذهنك مليء بالذاكرة؛ يمكنك أن تكرّر، أن تُعيد إنتاج الأشياء. هذا ما تمثّله الامتحانات. يُعتبر الشخص ذكياً إذا كان بإمكانه أن يستفرغ (يتقيأ) كل ما حُشر بداخله. أولاً عليه أن يبتلع كل هذه الأشياء، ومن ثم يستفرغها على ورقة الامتحان.

هناك أمر يجب أن نفهمه: يمكن للشخص أن يستفرغ نفس الشيء فقط إذا لم يتمكّن من هضمه. إذا هضمته، لا يمكنك استفراغه كما كان عليه. إذاً يجب عليك أن تُبقيه في الداخل من

دون أن تهضمه - عندها تُعتبر في مُنتهى الذكاء. والأكثر حماقة يُعتبرون الأكثر ذكاءً. إنها حالة تثير الشفقة.

الشخص الذكيّ قد يكون غير مناسب. إن ألبرت آينشتاين لم يتمكّن من النجاح في امتحانات الدخول إلى الجامعة. وهذا هو الذكاء المُبدع - لقد كان من الصعب عليه أن يتصرّف بالطريقة الحمقاء التي كان يتصرّف بها الجميع.

كل أولئك الحائزين على الميداليات الذهبية في المدرسة والجامعة يختفي أثرهم. يصبحون عديمي الفائدة. لا تدين الحياة لهم بشيء. ماذا حصل لأولئك الأشخاص؟ لقد دمّرهم المجتمع. لقد حصلوا على شهاداتهم وخسروا كل شيء في المقابل.

يجب أن نغيّر هذا النوع من التعليم. يجب إدخال الفرح إلى عُرف التدريس، وإدخال بعض الفوضى إلى الجامعات - الرقص، الغناء، الشعر، الإبداع، الذكاء. يجب أن نتخلّى عن اعتمادنا على الذاكرة.

يجب أن نراقب الناس ونساعدهم لكي يصبحوا أكثر ذكاءً. عندما يتصرّف الشخص بطريقة جديدة، يجب أن نقدّره ونشجّع. ليس هناك ما يُسمّى جوابًا صحيحًا. هناك جواب سخيّف، وجواب ذكيّ واعتماد تصنيف الصحيح والخاطيء هو أمر خاطيء. لا يوجد جواب صحيح وجواب خاطيء. الجواب إما أن يكون سخيّفًا، تكراريًا، أو ذكيًا مُبدعًا.

ماذا يجب أن تفعل إذا أردت أن تكون مُبدعًا؟ تخلّ عن كل ما تعلمته من المجتمع، ومن أهلك ومدّرّسيك، ورجال الشرطة والكهنة - عندها تصبح مُبدعًا من جديد وتسترجع الإثارة التي كنت تتخلّى بها في البداية. إنها لا تزال هناك منتظرة، مكبوتة. يمكنك تحرير هذه الطاقة المبدعة. وعندما تتمكّن من ذلك، تصبح مُتديّنًا. بالنسبة لي، المتديّن هو الإنسان المُبدع. جميعنا نولد مُبدعين، ولكن قلة من الأشخاص تبقى مُبدعة.

إن مسؤولية التخلّص من هذا الفخّ تقع على عاتقك. بالطبع، ستحتاج إلى الكثير من الشجاعة، لأنك عندما تحاول أن تتخلّص من كل الأشياء التي علّمك إياها المجتمع، ستخسر احترام الناس لك. وستبدو غريب الأطوار وشاذًا في أعين الناس. وإنه لأمر في مُنتهى الشجاعة أن تدخل الحياة والناس يعتقدون أنك شاذّ وغريب الأطوار. إذا كنت تصبو إلى الإبداع، عليك أن تجازف بكل شيء. والأمر يستحق المجازفة. فقليل من الإبداع يفوق بقيمته كلّ هذا العالم الدنيوي.

كُن على استعداد لتتعلم

الرجل صاحب المعرفة هو دائماً غير مُستعد ليتعلم، لأنه يعتقد أنه يملك المعرفة. إن وجوده يرتكز على ما يُدعى بالمعرفة. ولكن معرفته ليست سوى غذاء «للأنا». لا يمكنه أن يكون طالب علم Disciple.

يقول سقراط: «أنا أعرف شيئاً واحداً، وهو أنني لا أعرف شيئاً». - هذه هي بداية عملية التعلم Discipline. بالطبع، عندما لا تعرف شيئاً، يكون لديك توقُّ عظيم لتستكشف، لتتحرى، لتحقيق. وفي اللحظة التي تبدأ فيها بالتعلم تبرز عوامل أخرى لا يمكن تجنبها: مهما كانت الأشياء التي تعلمتها، يجب أن تتخلى عنها باستمرار. وإلا ستصبح معرفة، والمعرفة ستُعيق أي تعلم في المستقبل.

طالب العلم الحقيقي لا يجمع المعلومات؛ إنه يتخلى عن كل شيء توصل إلى معرفته في الماضي ويصبح جاهلاً من جديد. أنا أوافق ديانيسوس Dionysius في قوله بأن الجهل مُنير. إنه من أجمل التجارب في الوجود. عندما تكون بحالة لا معرفة، فأنت منفتح، ومستعد للاستكشاف، ولا شيء يُعيقك.

لقد أسىء تفسير عملية التعلم. يعتقد كثير من الناس أن عملية التعلم هي التدرّب على الانضباط. وباسم الانضباط فُرض على الناس ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن لا يفعلوه. وعندما يعيش الإنسان مع آلاف الإملاءات، لا يمكنه أن يكون مُبدعاً، ويصبح سجيناً. الشخص المُبدع يحتاج إلى الحرية وإلى فسحة تحرّك شاسعة. يحتاج إلى السماء وكل النجوم. عندها فقط يمكن لعفويته أن تنمو.

تذكّر إذاً أن عملية التعلم لا تعني الوصايا العشر؛ وأنا لا أُملي عليك أي طريقة في العيش، وإنما أقدم لك فكرة مُتبصرة عن الطريقة التي يمكنك أن تتعلم بواسطتها من غير أن تصبح واسع المعرفة. إن طريقة عيشك يجب أن تنبع من قلبك، يجب أن تكون خاصتك. وعندما يفرض عليك أحدهم طريقة عيش مُعيّنة فإنها لن تناسبك أبداً؛ ستكون كمن يرتدي ملابس شخص آخر وستشعر بالحماقة بسبب ذلك.

تعيش تَبَعاً لمبادئ محدّدة، جامدة. والحياة ليست جامدة؛ الحياة تتغيّر باستمرار في كل لحظة. كان هيرقليطس على حق: لا يمكنك أن تخطو في نفس النهر مرّتين. النهر يتحرك بسرعة، لا يبقى على حاله، يتغيّر دائماً. وهكذا الحياة. يجب على الإنسان أن يكون يقظاً، ومُتحمّساً لكل الوضعيات المستجدة وتنوّعاتها، ويجب أن نستجيب دائماً وَفْق ما تفرضه اللحظة الحالية، وليس وَفْق استجابات موضوعة سلفاً من قِبَل الآخرين.

هل ترى مدى حماقة الإنسان؟ منذ خمسة آلاف سنة قدّم مانو Manu طريقة عيش مُحدّدة للهندوس ولا يزالون يتبعونها حتى الآن. والعالم يعيش بحالة جنون من جرّاء طرق المعيشة هذه! إنها بعيدة عن روح العصر، وكان يجب أن تُدفن منذ وقت طويل. إنها جيّف نتنة وعندما تعيش مُحاطاً بجيّف، فأيّ نوع من الحياة تتوقّع؟

أنا أعلمكم العيش في اللحظة الآنية. شيء ما قد يكون صحيحاً في هذه اللحظة ويصبح خاطئاً في اللحظة التالية. لا تحاول أن تكون مُتسقيّاً. الأموات فقط يكونون مُتسقين. حاول أن

تكون حيًا، مع كلِّ ما تقدّمه الحياة من تناقضات، وعِشْ كلَّ لحظة من دون مقارنتها بالماضي أو بالمستقبل. عِش اللحظة في إطار اللحظة، وستكون استجابتك كُلية. وهذه الكُلية هي الإبداع والجمال.

جد النرفانا Nirvana في الأشياء العادية

هل سمعتَ بأيُّ بُستانيٍّ يخلق الحياة، يجمّل الحياة، حصل على جائزة نوبل؟ بأيِّ مزارع، يحرث الحقول ويؤمّن الغذاء للجميع، حصل على أيِّ جائزة؟ كلاً، إنهم يحيون ويموتون وكأنهم لم يكونوا هنا.

هذا فرزٌ بشع. كلُّ روح مُبدعة - بمعزلٍ عما تخلق - يجب أن تُحترم وتُكرم. ولكنّ رجال السياسة يحصلون على جائزة نوبل وهم ليسوا سوى مُجرمين أذكياء. لقد تسبّبوا بكلِّ إراقة الدماء التي حصلت في العالم. وهم لا يزالون يصنعون المزيد من الأسلحة النووية لتدمير العالم بأكمله. في أي مجتمع إنساني شريف بالفعل، يُكرّم الإبداع ويُحترم، لأن الروح المُبدعة تشارك في عمل الله. جسّنا الجمالي يفتقر إلى الذوق.

تحضرنى الآن ذكرى أبراهام لنكولن. كان ابنَ صانع أحذيةٍ وأصبح رئيساً للولايات المتحدة. بالطبع لقد أزعج ذلك جميع الأرسقراطيين وأثار غضبهم. وليس مُصادفةً أنه تعرّض للاغتيال بعد فترة وجيزة. لم يكن بإمكانهم أن يتقبلوا فكرة ابن صانع أحذية كرئيس للجمهورية.

في اليوم الأول عندما كان يستعدّ ليلقي خُطبته الافتتاحية أمام مجلس الشيوخ، وقف أحد الأرسقراطيين وقال له: «سيد لنكولن، بالرغم من أنك أصبحت عن طريق المصادفة رئيساً للجمهورية، لا تنس أنك كنت تأتي مع والدك إلى منزلنا لتصنع الأحذية لعائلتنا. ويوجد الآن عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ الذين ينتعلون الأحذية التي صنعها والدك. إذاً يجب أن لا تنسى أصلك أبداً».

كان هذا الأرسقراطيّ يعتقد أنه سيدلّ لنكولن. ولكن ليس بالإمكان أن تذلّ شخصاً مثل أبراهام لنكولن. إن الأشخاص الصغار فقط، الذين يعانون من عُقدة النقص، يمكن إذلالهم. أجب لنكولن بعبارة يجب أن يتذكّرها الجميع. قال: «أنا شاكر لك أن تُذكّرني بأبي قبل أن ألقى كلمتي الافتتاحية أمام مجلس الشيوخ. لقد كان والدي في غاية الجمال، لقد كان فتناً مُبدعاً - لم يكن باستطاعة أي شخص أن يُضاهيه في صنْع أحذية جميلة. أنا أعرف تمام المعرفة أنني مهما فعلت، لن أكون على مستوى من العظمة كرئيس للجمهورية، يوازي عظمة والدي كفتان مُبدع، أنا لا يمكنني أن أنفوق عليه.

«ولكن في معرض الحديث، أريد أن أذكركم جميعاً أيها الأرسقراطيون، أنه إذا كانت الأحذية التي صنعها والدي تُسبّب لكم الإزعاج، وبما أنني تعلّمت أيضاً فنّ صنْع الأحذية من والدي، وبالرغم من أنني لست بصانع أحذية عظيم، باستطاعتي أن أصلح لكم أحذيتكم. كل ما عليكم هو أن تخبروني وسأحضر إلى منازلكم».

ساد قاعة مجلس الشيوخ صمتٌ رهيب، وفهم أعضاء مجلس الشيوخ أن ليس بإمكانهم أن يُدّلوا هذا الرجل.

لا فرق إذا كنت ترسم، أو تنحت، أو تصنع الأحذية؛ لا فرق إذا كنت بُستانيّاً، أو مزارعاً، أو نجّاراً، أو صيّاد سمك. المهم هو أن تضع طاقتك الروحية بكاملها فيما تصنع. عندها سيتحلّى

إنتاجك المبدع بميزة الألوهية.

تذكر، لا علاقة للإبداع بأي عمل مُعيّن. للإبداع علاقة بنوعية وعيك، فمهما كان الشيء الذي تصنعه، يمكنه أن يصبح عملاً مُبدعاً إذا كنت تعرف معنى الإبداع. الإبداع يعني أن تستمتع بعملك وتعشقه وكأنه نوع من التأمل. إذا كنت تقوم بأعمال التنظيف وتستمتع بهذا العمل، فإنه عمل مُبدع. وإذا لم تكن تستمتع بهذا العمل، فإنه بالطبع يصبح نوعاً من أعمال السُّخرة. هل يمكنك أن تجد شيئاً أفضلَ تفعله؟ هل تعتقد أنك لو مارست الرسم، ستشعر أنك مُبدع؟

ولكن الرسم هو عمل عادي أيضاً كعمل التنظيف. ما سنفعله هو نثر الألوان على لوحة الرسم. في عمل التنظيف تغسل الأرض وتُنظفها؛ ما الفرق؟ تتحدث إلى صديق وتشعر أنك تضيع وقتك. تُفضل أن تكتب رواية، لأن ذلك قد يجعلك تشعر بالإبداع. ولكن صادف أن صديقك قد حضر لزيارتك! تحدث إليه؛ قليل من المحادثة أمر مُشوق وجميل - كُن مُبدعاً!

جميع النصوص المقدّسة ليست سوى أحاديث لأناس مُبدعين. ماذا أفعل أنا هنا؟ إنني أتحدث. أحاديثي قد تُصبح مقدّسة في يوم من الأيام، ولكنها في الأصل ليست سوى أحاديث. ولكنني أتمتع بذلك، بإمكانني أن أتحدّث إلى الأبد - قد تشعر بالتعب يوماً ما من الإصغاء إلى أحاديثي، ولكنني أنا شخصياً لن أشعر أبداً بالتعب من التحدّث إليك، وهذا مبعث سرور دائم بالنسبة لي. قد يأتي يوم ويتعب الجميع من أحاديثي ويخنفون - أما أنا فسأبقى وأتابع الكلام. إذا كنت تُحب ما تفعله، ستكون مُبدعاً فيه.

الرجل المنفهم هو مُبدع على الدوام. ليس لأنه يحاول أن يكون مُبدعاً - طريقتة في الجلوس هي فعل إبداع. راقبه وهو يجلس؛ سترى في حركاته رقصة جميلة، سترى فيها نوعاً من الوقار. يجب أن نفهم، مهما كان الذي تفعله - الطبخ، التنظيف، إلى ما هنالك - أن الحياة تتكوّن من أشياء صغيرة وعظيمة في نفس الوقت. فقط «الأنا» فيك تقول إن هذه أشياء صغيرة وأنت تريد أشياء عظيمة لتقوم بها. تريد أن تنظّم شعراً رائعاً. تريد أن تصبح شيكسبير، أو كاليداس، أو ميلتون. إن «الأنا» فيك هي التي تخلق المشاكل. تخلّ عن «الأنا» ويُصبح كلُّ عملٍ تقوم به عملاً عظيماً ومُبدعاً.

تتكوّن الحياة من أشياء صغيرة، تُصبح عظيمة إذا أحببتها. إن عمل التنظيف هو عمل عظيم كغيره من باقي الأعمال. لا تدع «الأنا» تُصوّر لك عكس ذلك. عندما تحاول «الأنا» أن تُفعلك بأعمال عظيمة، استعدّ وعيك على الفور وتخلّ عن «الأنا»، وستجد تدريجياً أن النافه هو مُقدّس أيضاً.

وإذا لم يُصبح كلُّ شيء مُقدّساً بالنسبة لك، لا يُمكنك أن تحيا حياة دينية. الإنسان المقدس ليس ما يدعوه المجتمع بالقدّيس. قد يكون سلوك القدّيس في خدمة «الأنا» ولكنه يظهر لك بمظهر القداسة لكونه قام بأعمال يدعوها المجتمع عظيمة. الرجل المقدّس هو رجل عاديّ، يُحب الحياة العادية - تقطيع الحطب، تعبئة الماء من البئر، الطبخ - وكل ما يلمسه يصبح مُقدّساً. إنه لا يقوم بأعمال عظيمة، ولكن كل ما يعمله، يعمله بعظمة.

والعظمة ليست في الشيء الذي نفعله. العظمة هي في الوعي الذي يرافق هذا الفعل. ألمس حصةً بمحبة فائقة وستصبح ماسةً. تبسّم وفجأة تصبح ملكاً. يجب أن يُحوّل حُبك التأملّي كل لحظة من حياتك.

عندما أقول لكم كونوا مُبدعين، فأنا لا أعني أن تصبحوا جميعًا رسّامين أو شعراء. ما أعنيه هو أن تجعلوا من حياتكم لوحة أو قصيدة رائعة. تذكر ذلك دائمًا وإلا ستسبب لك «الأنا» الكثير من المشاكل.

إذهب إلى بعض المُجرمين واسألهم كيف أصبحوا مُجرمين - لأنهم لم يتمكّنوا من القيام بعمل عظيم. لم يتمكّنوا من أن يصبحوا رؤساء للجمهورية في بلدهم؛ لذلك قتلوا رئيس الجمهورية. هذا عمل في مُنتهى السهولة. لقد نُشرت صورهم في جميع المجلات والصحف، لقد أصبحوا أكثر شهرة من الرئيس.

منذ عدّة أشهر، قتل رجلٌ سبعة أشخاص، وعندما سُئل عن السبب - وخاصة أن لا علاقة تربطه بهؤلاء جميعًا - أجاب أنه كان يريد أن يصبح عظيمًا. كان يريد أن ينشر قصائده ومقالاته، ولقد رفضت جميعُ الجرائد أن تنشر أيًا من أعماله. لذلك قتل سبعة أشخاص ليصبح شهيرًا. المجرمون ورجال السياسة لا يختلفون في طبيعتهم. جميع المجرمين سياسيون، وجميع رجال السياسة مُجرمون. إن ريتشارد نيكسون ليس المجرم الوحيد. هذا المسكين قُبض عليه بالجرم المشهود، هذا كل شيء. أما الباقيون فيبدو أنهم أكثرُ حنكَةً وذكاءً. كانت إحدى المتزوجات تتكلّم بفخر مع جارتها: «هل سمعتِ عن ابني لوي؟» سألت جارتها.

«كلا، ما هي قصة ابنك لوي؟».

«إنه يذهب مرتين في الأسبوع لمقابلة طبيب نفساني».

«وهل هذا أمر جيّد؟».

«بالطبع إنه أمر جيّد. إنه يدفع 40 دولارًا في الساعة - 40 دولارًا! - ولا يتكلّم عن أي شيء سواي».

لا تُفسح في المجال «للأنا» أن تفقدك نحو الشهرة والعظمة المزيّفة. فأن تكون عظيمًا هو أن تكون عاديًا. ويمكنك أن تحيا حياتك العادية بطريقة عظيمة. هذا هو الوعي «النرفاني».

والآن دعني أخبرك الكلمة الأخيرة. إذا أصبحت «النرفانا» الهدف العظيم الذي تريد تحقيقه، تصبح «النرفانا» كابوسًا يُقضّ مضجعك. ولكن إذا كانت «النرفانا» في الأشياء الصغيرة العادية التي تعيشها، في الطريقة التي تُحوّل بها أي نشاط صغير إلى عمل مقدّس، إلى صلاة... يصبح منزلك معبدًا، ويصبح جسدك مسكنًا لله. وكل ما تلمسه أو تراه يصبح في غاية الجمال والقدسية - عندها تصبح «النرفانا» هي الحرية.

«النرفانا» هي أن تحيا حياة عادية، حياة متيقظة، واعية وملينة بالنور بحيث يُصبح كلّ شيء مُنيرًا. وهذا سهل التحقيق. أقول ذلك لأنني عشت هذه الحياة ولا أزال أعيشها. عندما أقول ذلك، أقوله بثقة من غير الحاجة للاستشهاد بأحد.

لقد أصبحت هذه الحياة مُمكنة بالنسبة لي؛ ومن المرجح أن تصبح ممكنة بالنسبة لك. كلّ ما عليك فعله هو أن لا تتوق إلى «الأنا». أحبّ الحياة وثقّ بها فحسب، وستعطيك الحياة كل ما تحتاجه. ستحيا في النعيم.

كُنْ حَالِمًا

قال فريدريك نيتشه في أحد تصريحاته: «أعظم مُصيبة ستعترض لها الإنسانية هي اليوم الذي يخفي فيه كلّ الحالمين». إن تطوّر الإنسانية كان نتيجة أحلام الإنسان. ما كان حُلْمًا بالأمس، أصبح حقيقةً اليوم. وما هو حُلْم اليوم، قد يصبح حقيقة في المستقبل.

الشعراء، الموسيقيون، الصوفيون، جميعهم حالمون. في الواقع، إن الإبداع هو حصيلة الحُلْم. ولكنّ الأحلام التي أقصدها ليست الأحلام التي حلّتها فرويد. لذلك يجب أن نُفرّق بين أحلام الشعراء، والنحات، والمهندسين، والصوفيّ، وأحلام العقل المريض.

من المؤسف أن فرويد لم يهتم لأحلام الحالمين العظماء الذين هم المساهمون الأساسيون في تطوّر الإنسان. لقد كان عمله يقتضي مقابلة المرضى النفسيين، وبما أن تجربته المهنية اقتصرت على تحليل أحلام المضطربين عقليًا، اكتسبت كلمة حلم معنىً سلبيًا. إن المضطرب عقليًا يحلّم، ولكنّ حُلْمه سيكون مُدمرًا لذاته. والرجل المُبدع يحلّم أيضًا، ولكن حُلْمه سيُغني الإنسانية.

لقد حضرتني ذكرى مايكل أنجلو. كان مايكل أنجلو مارًا بأحد الأسواق حيث كانت تتوافر جميع أنواع الرخام عندما شاهد قطعة رخام جميلة فسأل عنها. قال التاجر: «إذا أردت قطعة الرخام هذه يمكنك أن تحصل عليها من دون أيّ مقابل لأنها شغلت هذه الفسحة طوال اثنتي عشرة سنة دون أن يهتمّ بها أحد. كما أنني لا أرى إمكانية استخدامها في أيّ مجال».

أخذ مايكل أنجلو قطعة الرخام، وعمل عليها لمدة سنة تقريبًا، وصنع منها ربّما أجمل تمثال في الوجود. منذ سنوات قليلة، حاول أحد المضطربين عقليًا تدمير التمثال. كان موضوعًا في الفاتيكان، وكان يُمثّل يسوع المسيح بعد أن أنزل عن الصليب وهو يتمدّد في حضن أمه مريم. لقد شاهدت صور التمثال فقط، وكانت تفيض بالحياة كما لو أن المسيح سيستيقظ في أي لحظة. ولقد استخدم أنجلو قطعة الرخام بمهارة فائقة بحيث تشعر بقوة المسيح وهشاشته في نفس الوقت، وترى الدموع في عينيّ مريم.

عندما سُئل هذا الرجل المضطرب عقليًا عن سبب محاولته تحطيم التمثال أجاب: «أنا أيضًا أريد أن أصبح شهيرًا. لقد كان على مايكل أنجلو أن يعمل لمدة سنة على هذا التمثال ليصبح شهيرًا. أما أنا فلم أكن بحاجة لأكثر من خمس دقائق لتحطيم التمثال. ولقد أصبح اسمي مطبوعًا على الصفحة الأولى في جميع الصحف العالمية».

كلا الرجلين عمل على نفس قطعة الرخام. أحدهم كان مُبدعًا، والآخر كان مضطربًا عقليًا. بعد سنة، عندما أنهى مايكل أنجلو عمله على قطعة الرخام، طلب من تاجر الرخام أن يرافقه إلى منزله ليريه شيئًا ما. لم يُصدّق التاجر ما رأت عيناه. قال: «من أين أتيت بقطعة الرخام الجميلة هذه؟».

قال مايكل أنجلو: «ألم تتعرّف عليها؟ إنها قطعة الرخام التي انتظرت اثنتي عشرة سنة في متجرك دون أن يُعيرها أحدٌ أيّ اهتمام».

قال التاجر: «ما الذي أفنّعتك أنه كان بالإمكان تحويل قطعة الرخام البشعة تلك إلى تمثال جميل؟».

قال مايكل أنجلو: «لم أفكر بالأمر. كنت أحلم بصناعة هذا التمثال، وعندما مررت بالمتجر ورأيت قطعة الرخام، فجأة رأيت يسوع المسيح وكان يقول لي: أنا مسجون داخل هذه الصخرة. حرّرني. ساعدني على الخروج من هذه الصخرة. رأيت نفس التمثال داخل الصخرة. ما قمت به كان عملاً بسيطاً: أزلت كل الأقسام غير الضرورية من الصخرة، وحررت يسوع المسيح ومريم من قيودهما».

لو اهتم فرويد بتحليل أحلام المُبدعين بدلاً من أحلام المضطربين عقلياً، لكانت مساهمته أكثر دقةً وأمانةً في فهم السلوك الإنساني. ولكن من شأن تحليل أحلام المبدعين أن يُظهر أن الأحلام ليست جميعها رغبات مكبوتة. فالأحلام قد تكون حصيلة الوعي المبدع الذي لا يتحلّى به جميع الناس العاديين. وهذه الأحلام لم تصدر عن أناس مرضى بل أصحاء. وما تطور الإنسان وتطور الوعي لديه إلا حصيلة هذه الأحلام.

الوجود بكليته هو وحدة عضوية، وكل ما في الكون يتنفس في آن معاً. الكون في حالة انسجام تام. الإنسان فقط نسي لغة الانسجام، وعلمي هذا هو محاولة لتذكيركم بذلك. نحن لا نخلق الانسجام؛ الانسجام هو حقيقتنا. ولكن نحن نسينا ذلك. ربّما لأن ذلك أمر بديهي، نميل لنسيانه.

تُحكى قصة رمزية عن سمكة كانت تتحلّى بعقلٍ فلسفي. فسألت هذه السمكة سمكة أخرى: «لقد سمعتُ كثيراً عن المحيط؛ أين هو؟». وهذه السمكة موجودة في المحيط! وُلدت في المحيط، وعاشت في المحيط؛ ولم تفارقه أبداً. ولم تر المحيط كشيء مُنفصل عن ذاتها. أجابتها السمكة الأخرى: «هذا هو المحيط، نحن فيه».

ولكن السمكة الفيلسوفة قالت: «لا بدّ أنك تُمازحيني. هذا ماء وتسمينه المحيط. يجب أن أحصل على معلومات إضافية من قبل بعض الحكماء هنا للتأكد من الأمر».

إن السمكة تعرف عن المحيط عندما تعلق في شباك الصيد وينتشلها إلى الخارج ويرميها على الرمل. عندها تفهم ولأوّل مرّة أنها كانت تعيش دائماً في المحيط وأن المحيط هو حياتها ومن دونه لا يمكنها أن تحيا.

ولكن الأمر أكثر صعوبةً مع الإنسان. لا يمكن أن نقتلع الإنسان من الوجود. الوجود لا مُتناهٍ. ولا وجود لشواطئ حيث يمكنك أن تقف بعيداً وترى الوجود. أينما كنت، أنت جزء من الوجود.

نحن جميعاً نتنفس في آن معاً. نحن جزء من أوركسترا واحدة.

أن نكون فرحين فحسب، أن نكون صامتين فحسب - في هذا الصمت ستشعر أنك برفقة الآخرين. عندما تفكر، فأنت مُنفصل عن الآخرين لأن أفكارك تختلف عن أفكار الآخرين. ولكن إذا كان الجميع صامتين، ستزول الحواجز بين الجميع.

الصمت هو دائماً واحد مهما كان عدد الصامتين.

جميع القيم العظيمة في الحياة - الحب، الصمت، السعادة، النشوة، الألوهية - تجعلك واعياً لوحدة الإنسان. نحن جميعاً تعبيرات مختلفة لحقيقة واحدة، أغنيات مختلفة لمُغنٍ واحد، رقصات مختلفة لراقص واحد، لوحات مختلفة لرّسام واحد. ولكن لا تفكر بذلك على أنه حلم، لأنك إذا فعلت ذلك، يعني أنك لم تفهم أنها الحقيقة. والحقيقة هي أجمل من أي حلم ممكن. الحقيقة أكثر تلويناً، وأكثر فرحاً، وأكثر رقصاً مما يمكنك تخيله. ولكننا نعيش في حالة لاوعي.

أول دليل على حالة اللاوعي التي نعيشها هي أننا نعتقد أننا منفصلون. ولكنني أشدّد على أنه لا يمكن لأي إنسان أن يكون جزيرة؛ نحن جميعًا جزء من قارة شاسعة. هناك تنوع، ولكنّ هذا لا يجعلنا منفصلين. التنوع يجعل الحياة أكثر غنى - جزء منا في جبال الهملايا، وجزء آخر في النجوم، وجزء في الورود، وفي الطيور على الأغصان، وفي خضرة الأشجار. نحن منتشرون في كل مكان. عندما تعيش هذه الحقيقة، ستتغيّر مقاربتك للحياة كُليًا، سيتغيّر سلوكك، سينغيّر وجودك.

ستصبح مليئًا بالحب؛ مليئًا باحترام الحياة. ستصبح لأوّل مرّة، وحسب رأيي، مُتديّنًا بحق - ليس مسيحيًا، أو هندوسيًا، أو مسلمًا، ولكن مُتديّنًا نقيًا بحق.

كلمة دين جميلة. إنها مُشتقّة من كلمة تعني جمع الأشخاص الذين فرّقهم الجهل؛ جمع شملهم، إيقاظهم ليروا أنهم غير منفصلين. عندما يتملّك هذا الشعور لن تتمكن من إيذاء حتى شجرة. عندها يصبح الحبّ والعطف عفويًا لديك - ليس شيئًا مُتعلّمًا أو طريقة عيش. حتى الحبّ، المسالمة، العطف، عندما تصبح أمورًا مُتعلّمة أو طريقة عيش، تصبح خاطئة. ولكن إذا صدرت بطريقة عفوية، من دون أي مجهود شخصي من قبلك، تصبح جزءًا من الحقيقة.

لقد اقتُرِفَت جرائم عديدة باسم الدين في الماضي. وعدد الذين قُتلوا على أيدي أشخاص مُتديّنين يفوق عدد الذي قُتلوا من قبل أي طرف آخر. بالطبع هذه أديان مزيّفة.

سُئِلَ هـ. ج. ويلز H.G.Wells مرةً، عندما نشر كتابه «تاريخ العالم»: «ما هو رأيك بالحضارة؟».

قال: «إنها فكرة جيّدة، ولكن على شخص ما أن يعمل على تحقيقها».

لغاية الآن، لم نكن مُحضّرّين، أو مُتقّفين، أو مُتديّنين. باسم الحضارة، والثقافة والدين، قمنا بجميع أنواع الأعمال البربرية، البدائية والحيوانية.

لقد ابتعد الإنسان عن الحقيقة. ويجب أن يستيقظ على واقع الحقيقة بأننا جميعًا واحد. وهذا ليس افتراضًا؛ إنها تجارب جميع التأمّليين على مدى العصور من دون استثناء والتي تثبت أن الوجود بكليّته هو واحد، هو وحدة عضوية.

إدّاء، لا تعتبر عن طريق الخطأ أي تجربة جميلة على أنها حُلم. فإنّ تُسمّيها حُلمًا يُلغي حقيقتها. يجب أن نُحوّل الأحلام إلى حقيقة، وليس الحقيقة إلى أحلام.

أربعة أسئلة

في قلبك أغنية تريد أن تُغنيها ورقصة تريد أن ترقصها، ولكن الرقصة لا تُرى، والأغنية حتى أنت لم تسمعها حتى الآن. إنها مُخبأة في أعماق كيائك؛ يجب أن تطفو إلى الخارج، يجب أن يتم التعبير عنها. هذا ما يُقصد بـ«تحقيق الذات».

الذاكرة والمُخَيَّلَة

أنت تطلب منا باستمرار أن نتخلّى عن الذاكرة ونحيا اللحظة الآنية. ولكن إذا تخلّيت عن ذاكرتي يجب أن أتخلّى أيضاً عن مُخَيَّلتي المبدعة، لأنني كاتب وكل ما أكتب عنه مُتجذّر في ذاكرتي.

أنا أتساءل: ماذا سيكون عليه العالم من غير فنّ ومن غير مُخَيَّلَة مُبدعة تجعل من الفن أمراً مُمكن التحقيق؟ لا يمكن لتولستوي أبداً أن يصبح الحكيم، ولكن هل يمكن لحكيم أن يكتب رواية «الحرب والسلام»؟

أنت لم تفهمني، ولكن هذا أمر طبيعي. من المستحيل أن تفهمني. فلكي تتمكن من فهمي، عليك أن تتخلّى عن ذاكرتك. ذاكرتك تتدخل في عملية الفهم. أنت تصغي إلى كلماتي فقط، ثم تُفسّر هذه الكلمات وَفَقَّ ذاكرتك، وَفَقَّ ماضيك، لا يمكنك أن تفهمني إذا لم تكن هنا وفي هذه اللحظة الآنية... فقط في هذه اللحظة ستكون معي؛ وإلا ستكون حاضراً جسدياً، وغائباً سيكولوجياً. أنا لم أطلب منك أن تتخلّى عن ذاكرتك الواقعية، هذا سيكون بمنتهى حماقة! ذاكرتك الواقعية ضرورية. يجب أن تعرف اسمك، من هما والداك، من هي زوجتك، من هم أطفالك، وما هو عنوان سكنك. عندما تذهب مجدداً إلى الفندق الذي تقيم فيه، يجب أن تكون قادراً على إيجاد الغرفة التي تنزل فيها. أنا قصدت الذاكرة السيكولوجية وليس الذاكرة الواقعية. الذاكرة الواقعية ليست بمشكلة، إنها عملية تذكّر محض. ولكن عندما تصبح الذاكرة سيكولوجية، هنا تبرز المشكلة. يجب أن تفهم الفرق.

نهار البارحة، أهانك أحد الأشخاص ثم مر صدمة بالقرب منك هذا النهار. ذاكرتك الواقعية تقول: «لقد أهانني هذا الشخص نهار البارحة». أما الذاكرة السيكولوجية فهي تتمثل بشعورك بالغضب عندما ترى هذا الرجل مجدداً. عندما ترى هذا الرجل، يبدأ جسمك بالغليان. وربما كان الرجل قد جاء ليقدم لك الاعتذار وليطلب منك المسامحة. قد يكون أيقن أنه ارتكب خطأ بحقك وجاء ليصحح خطأه ويتقرّب منك. أنت غاضب وتبدأ بالصراخ. أنت لا ترى وجهه في هذه اللحظة، أنت لا تزال متأثراً بالوجه الذي رأيته بالأمس. ولكن الأمس هو الأمس! كم من المياها انسابت في نهر الغانج منذ البارحة؟ هذا الرجل ليس نفس الرجل الذي رأيته البارحة. أربع وعشرون ساعة أدخلت كثيراً من التغيرات - حتى أنت لم تعد الإنسان ذاته.

الذاكرة الواقعية تقول: «لقد أهانني هذا الرجل نهار البارحة». ولكنني أنا تغيرت وهذا الرجل تغير أيضاً. إذاً، يبدو الحادث وكأنه وقع بين شخصين لا علاقة لك بهما. عندما تستعين بالذاكرة الواقعية تتحرّر نفسياً. أنت لا تقول: «أنا ما زلت غاضباً». لقد زال غضبك. إن الذاكرة الواقعية تقوم بوظيفتها، ولقد تحرّرت من الآثار السيكولوجية. تجتمع بالرجل مجدداً كما هو الآن، وكما أنت الآن.

أتى مرة رجل وهو في غاية الغضب وبصق في وجه أحد الحكماء. مسح الحكيم البصقة عن وجهه وسأل الرجل: «هل لديك شيء آخر تقوله؟».

تملّك أحد تلامذة الحكيم الغضب. وتوجّه إلى الحكيم قائلاً: «اسمح لي أن أصحح سلوكك هذا الرجل. لقد تمادى في سلوكه. لا أستطيع السكوت عن ذلك».

قال الحكيم: «ولكنّه لم يبصق على وجهك. لقد بصق على وجهي. من ناحية ثانية، أنظر إلى هذا الرجل فحسب! يبدو أن لديه مشاكل كثيرة أنظر إليه فحسب! أشفق عليه. كان يريد أن يقول لي شيئاً ما، ولكنه لم يجد الكلمات المناسبة. هذه هي مشكلتي أيضاً، مشكلة لازمتني مدى الحياة - وأرى أن هذا الرجل لديه نفس المشكلة. أريد في بعض الأحيان أن أطلعك على ما توصلت إلى معرفته، ولكنني لا أتمكّن من ذلك لعدم قدرتي على إيجاد الكلمات المناسبة. هذا الرجل يعاني من نفس المشكلة: إنه في غاية الغضب ولم يتمكّن من إيجاد الكلمات المناسبة ليعبر عن غضبه - تماماً كما أنني في حالة حبّ غامر ولكنني لا أتمكّن من إيجاد أيّ كلمة أو أيّ فعل لأعبر به عن هذا الحبّ. إنني أرى مشكلة هذا الرجل!».

الحكماء يرون، ويستعيدون ذاكرة واقعية فحسب؛ والتلميذ يخلق ذاكرة سيكولوجية. لم يُصدّق الرجل ما قاله الحكيم. لقد كان في حالة صدمة. لو أن الحكيم وتلميذه أقدموا على ضربه لما كان في حالة صدمة؛ هذا ما كان يتوقّعه، وهذه هي عادة ردة فعل الناس الطبيعية. ولكنّ الحكيم شعر مع هذا الرجل وأحسّ بمشاكله... ذهب الرجل ولم يتمكّن من النوم طوال الليل، فكّر في الموضوع وأمعن فيه التأمل. بدأ يشعر بالذنب وبالآلم نتيجة ما فعل. وتفتّحت الجراح في قلبه.

في الصباح الباكر، أسرع إلى الحكيم وانحنى على قدميه وقبلهما. فقال الحكيم لتلميذه: «أنظر إنها نفس المشكلة مُجدّداً! إنه يفيض الآن بمشاعر المحبّة نحوي، ولكنّه لا يجد الكلام ليعبر به عن تلك المشاعر. إنه يقبل قدمي. إن هذا الرجل عاجز عن التعبير. عندما تفيض بنا المشاعر، نعجز عن التعبير عنها بالكلام. ولذلك نحاول أن نجد طُرُقاً رمزية للتعبير. أنظر!».

بدأ الرجل بالبكاء وقال: «أغفر لي يا سيدي، إنني أسف جداً. لقد كان تصرفي في منتهى الحماسة، وخاصة أنني بصقت بوجه رجل بمكانتك».

قال الحكيم: «إنس الموضوع! الرجل الذي بصقت بوجهه لم يعد موجوداً، وكذلك الرجل الذي أقدم على البصق. أنت جديد، وأنا جديد! أنظر هذه الشمس التي تشرق، إنها جديدة. كل شيء جديد. الأمس ليس له وجود. إنس الأمس. ولماذا أغفر لك؟ لأنك لم تبصق عليّ. لقد بصقت على شخص لم يعد له وجود».

الوعي هو نهر دائم الانسياب.

عندما أقول تحلّ عن ذاكرتك، أقصد ذاكرتك السيكولوجية؛ أنا لا أقصد الذاكرة الواقعية. الحكيم يتذكّر تماماً أن هذا الرجل بصق في وجهه، ولكنه يتذكّر أيضاً أنهما كليهما شخصان مختلفان الآن. لقد انتهى الأمر؛ ولا يجدر بك أن تحمله مدى الحياة، ولكنك تفعل ذلك. وجه إليك أحدهم كلاماً قاسياً منذ عشر سنوات ولا تزال تحمل هذه الذكرى. كانت أمك غاضبة عليك عندما كنت طفلاً ولا تزال تحمل هذه الذكرى. لقد صفعك والدك وأنت صبي ولا تزال تحمل هذه الذكرى، وقد تكون الآن في السبعين من العمر.

هذه الذكريات السيكولوجية تُسبّب لك الكثير من الإزعاج. إنّها تُدمّر حرّيتك وحيويّتك، إنّها تأسرك.

يجب أن نفهم شيئاً آخر: عند عدم وجود ذاكرة سيكولوجية، تكون الذاكرة الواقعية في غاية الدقّة - عندما تكون مُنزعجاً نفسياً كيف لك أن تتذكّر بدقّة؟ هذا

مستحيل! أنت ترتعش، أنت ترتجف، كيف يمكنك أن تتذكر بدقة؟ سوف تضيف بعض الأشياء وتُغفل بعض الأشياء، سوف تصنع شيئاً جديداً. ومن غير الممكن الاعتماد عليك.

الإنسان الذي ليس لديه ذاكرة سيكولوجية يمكن الاعتماد عليه. لهذا السبب يمكننا أن نعتمد على الحواسيب أكثر من الإنسان لأن ليس لها ذاكرة سيكولوجية - لديها الوقائع فقط. عندما تتكلم عن واقعة، تنتفي عنها صفة الواقعة: لقد أضفت إليها الكثير من الخيال، لقد أعدت صياغتها، غيرتها، أعدت رسمها، وأعطيتها ألواناً من عندك. لم تعد واقعة بعد ذلك! إن الحكيم فقط، الشخص المستنير، يعرف ما هي الواقعة؛ أنت لا يمكنك أن ترى أي واقعة لأنك تحمل الكثير من الأفكار. وعندما تجد واقعة، تُضفي عليها أفكارك فوراً. أنت لا ترى الشيء على حقيقته، أنت تشوّه الحقيقة.

يقول الحكيم: الشخص المتيقظ هو دائم الصدق لأنه يتكلم وفق الحقيقة. إنه يعكس كل ما هو موجود كالمرأة. وهذا ما أقصده عندما أقول: تخلّ عن الذاكرة السيكولوجية وستصبح مرأة. ذكرت أنني طلبت منكم أن تتخلّوا عن الذاكرة وأن تعيشوا اللحظة الآنية. هذا لا يعني أنه لا يمكن تذكر الماضي. الماضي هو جزء من الحاضر؛ ما كنت عليه في الماضي، ما فعلته في الماضي، هو جزء من حاضرك، إنه هنا. طفولتك، صباك... كل ما فعلته هو جزء منك. الطعام الذي تناولته في الماضي أصبح دمك؛ إنه يسري في عروقك هنا والآن. والحبّ الذي عشته في الماضي ساهم في تكوين شخصيتك. لقد أعطاك نظرة جديدة إلى الحياة.

اللحظة الآنية تحتوي على ماضيك بكامله. لحظتك الآنية تحتوي أيضاً على مُستقبلك بكامله - لأن الماضي كما حصل ساهم في تغييرك والمستقبل الذي سيحصل، سيحصل انطلاقاً مما أنت عليه في الحاضر. والطريقة التي تحيا بها اللحظة الآنية سيكون لها أثر كبير على مستقبلك. هذه اللحظة تحتوي على كل ماضيك وعلى كل إمكانيات المستقبل. ولا داعي لأن تقلق بهذا الشأن. الشجرة لا تُفكر بالمياه التي سقت جذورها بالأمس، ولا بأشعة الشمس التي لونت أوراقها بالأمس. ليست الأشجار بهذه الحماقة، ليست بحماقة الإنسان.

لم التفكير بأشعة الأمس؟ لقد تمّ استيعابها وتمثلها؛ لقد أصبحت جزءاً من الأخضر، والأحمر، والذهبي. الشجرة تستمتع بأشعة الشمس هذا الصباح، من دون أي ذاكرة سيكولوجية عن البارحة، بالرغم من أن البارحة في أوراقها، وأزهارها، وغصونها وجذورها. إنها هنا. والمستقبل أت. والبراعم الجديدة التي سترُهر غداً هي هنا.

اللحظة الآنية تحتوي كل شيء. الآن هو الخلود.

أنا لا أقترح أن تنسى الماضي الواقعي؛ كل ما أقوله: لا تدعهُ يُقلِّقك. لا توظفه على المستوى السيكولوجي. إنه واقع مادي، فليبقَ مادياً. وأنا لا أقول أنك يجب أن لا تذكره؛ قد تحتاج إليه، والحاجة ستكون في الحاضر، ويجب أن تستجيب لهذه الحاجة. إذا طلب منك أحدهم رقم هاتفك لا يمكنك أن تجيب: «كيف لي أن أعطيك رقم هاتفي؟ لقد تخلّيت عن الماضي». هذا سيسبب لك متاعب أنت بغنى عنها.

حاول أن تفهم وجهة نظري.

أنت تقول: «إذا تخلّيت عن ذاكرتي، يجب أن أتخلّى عن مخيلتي المُبدعة...» ما هي علاقة الذاكرة بالمخيّلة المُبدعة. في الواقع، كلما تعاضمت ذاكرتك، أصبحت أقلّ إبداعاً - لأنك

ستعمد إلى ترداد ما هو في ذاكرتك، والإبداع يتطلب منا أن نُفسح في المجال أمام الجديد. وأن نفسح في المجال أمام الجديد يعني أن نضع ذاكرتنا جانباً كي لا يتمكن الماضي من التدخل. دَعَ الجديد يدخل إليك. دَعَ الجديد يُفرح قلبك. ستكون بحاجة إلى الماضي، ولكن ليس الآن. ستحتاج إلى الماضي عندما تبدأ بالتعبير عن هذه التجربة الجديدة - ستحتاج إلى الماضي لأنك ستحتاج إلى اللغة، واللغة هي من الماضي. لا يمكنك أن تخرع لغة في هذه اللحظة، وإذا تمكّنت من ذلك، ستكون لغة غير مفهومة، لا تصلح للتواصل، ولا يمكن القيام بأي عمل مبدع من خلالها.

لنتمكّن من الكلام بطريقة مفهومة، نحن بحاجة إلى اللغة. واللغة تأتي من الماضي. ولكن اللغة يجب أن تأتي بعد حصول التجربة لتعبّر عنها. اللغة هي أداة.

عندما ترى الوردة تتفتّح في الصباح الباكر، أنظر إليها. دَعها تخترق كيانك، دَعها تسيطر عليك. لا تقل أي شيء، انتظر. كُن صبوراً، كُن مُنفتحاً. دع الوردة تصل إليك، ودع نفسك تصل إلى الوردة. ليكن هناك اجتماع، اجتماع كائنين - أنت والوردة. ليخترق كلّ منكما الآخر.

وتذكّر: كلما اخترقتك الوردة بالأعماق، اخترقتها بالأعماق؛ وستأتي لحظة لن تتمكن فيها من التفريق بين الوردة والناظر. ستأتي لحظة تُصبح فيها أنت الوردة وتصبح الوردة أنت، حيث الناظر هو المنظور، حيث تختفي الثنائية. في هذه اللحظة ستعرف الحقيقة، ماهية الوردة. عندها استعن بلغتك، استعن بفتك. إذا كنت رسّاماً، خُذ ريشتك، لوحة الرسم، والألوان وارسمها. إذا كنت شاعراً، أسرع إلى ذاكرتك واستحضر الكلمات المناسبة لتعبّر عن هذه التجربة. ولكن أثناء حصول التجربة، لا تتكلم. هذا الكلام الداخلي سيسبّب نوعاً من التشويش. لن تتعرّف إلى الوردة على حقيقتها. ستعرّف فقط على المظهر الخارجي، السطحي. وإذا تعرّفت على السطحي فقط، سيكون تعبيرك عن التجربة سطحيًا، ولن يكون لعملك أي قيمة فنية.

تقول: «إذا تخلّيت عن ذاكرتي، يجب أن أتخلّى عن مُخيّلاتي المُبدعة...» أنت لا تفهم معنى الإبداع. الإبداع يعني الجديد، الحديث، الأصلي. إنه يعني النقي، المجهول. يجب أن تكون منفتحاً لتلقّيه.

ضَعْ ذاكرتك جانباً. استخدمها لاحقاً. أن استخدمها الآن سيكون نوعاً من التشويش. الآن، على سبيل المثال، أنت تستمع إليّ - ضَعْ ذاكرتك جانباً. عندما تستمع إليّ، هل تردّد في داخلك المعلومات الحسابية، أو التاريخية أو الجغرافية التي تعرفها؟ لقد وضعتها جانباً. إفعل الشيء نفسه أيضاً بالنسبة للغة، إفعل الشيء نفسه بالنسبة لذاكرتك، ضَعها جانباً. ستحتاج إليها، ولكن استخدمها فقط عندما تحتاج إليها. ضَعْ عقلك كلّه جانباً.

أنت لا تُلغي العقل، إنّما تُعطيه بعض الراحة. في الواقع، أنت لست بحاجة إليه، يمكنك أن تعطيه إجازة طويلة. يمكنك أن تقول للعقل: «استرح لبعض الوقت ودعني أصغى. وعندما أنتهي من الإصغاء والاستماع سأستدعيك، عندها سأكون بحاجة إليك - بحاجة إلى لغتك، ومعرفتك، ومعلوماتك. بعد ذلك سأكتب قصيدة، أو أرسم لوحة أو أوّل كتاباً، أما الآن فيمكنك أن تستريح». والعقل سيكون أكثر نشاطاً بعد الاستراحة. نحن لا نعطي العقل ما يحتاجه من الراحة، لذلك يبقى مُتدني الجودة.

لنتخيّل شخصاً يريد المشاركة في مباريات العدو الأولمبية، وهو يتدرّب يوميًا على العدو ليلاً ونهاراً ليتحضّر للمباريات. عندما يحين موعد المباريات لن يقوى حتى على

التحرّك، وسوف يكون مُنهكًا للغاية. قبل مباراة العدو، يجب أن تستريح لفترة كافية لتتمكّن من استعادة حيوية جسدك.

هذا تمامًا ما يجب أن نفعله مع العقل. المُخيّلة المُبدعة لا علاقة لها بالذاكرة، وأقصد هنا الذاكرة السيكولوجية. فقط عندما تتخلّى عن هذه الذاكرة، يمكنك أن تصبح مُبدعًا. ما عدا ذلك، ما تُسمّيه إبداعًا لن يتعدّى كونه تأليفاً. هناك فرق كبير بين الإبداع والتأليف. التأليف هو عبارة عن إعادة ترتيب الأشياء القديمة بطرق مختلفة، ولكنها تبقى قديمة.

هذا يشبه إعادة ترتيب غرفة الجلوس - المفروشات هي ذاتها، الكراسي هي ذاتها، والمناضد هي ذاتها، والبرادي هي ذاتها، واللوحات هي ذاتها، ولكنك أعدت ترتيب جميع هذه الأشياء بطريقة مختلفة، ويمكنك أن تُعيد ترتيبها ثانية وبطريقة مختلفة أيضاً. قد تبدو جديدة ولكنها ليست كذلك. إنها تأليف: لم تخلق أي شيء جديد. هذا ما يفعله 99% من الرسامين، والكتّاب، والشعراء. أعمالهم مُتدنيّة الجودة ولا تعرف معنى الإبداع.

الشخص المُبدع هو الذي يستحضر شيئاً من العالم المجهول إلى العالم المعروف، هو الذي يستحضر شيئاً من عند الله إلى العالم. إنه شخص يتكلم الله من خلاله - قصبة خيزران فارغة. وكيف لك أن تصبح قصبة خيزران فارغة؟ إذا كنت مليئاً بالعقل، لا يمكنك أن تصبح قصبة خيزران فارغة. والإبداع يأتي من الخالق وليس منك. عندما تختفي، يكون الإبداع - أي عندما يتملكك الله.

المُبدعون الحقيقيون يعرفون ذلك حقّ المعرفة، أنهم ليسوا المُبدعين - أنهم فقط يقومون بدور الأداة أو الوسيط. شيء ما يحصل من خلالهم، هذا صحيح، ولكنهم ليسوا الفاعلين.

تذكّر الفرق بين التقنيّ والمُبدع. التقنيّ يعرف كيف يصنع الأشياء ولكنه لا يتحلّى بأيّ فُدرّة على الاستبصار. والمُبدع يتمتّع بقدرّة فائقة على الاستبصار، إنه يرى أشياء لم يرها أحد من قبل، ويسمع أشياء لم يسمعها أحد من قبل.

أقوال المسيح فيها الكثير من الإبداع - لم يتكلم أحد من قبل بهذه الطريقة. لم يكن شخصاً مثقفاً ولم يكن ضليعاً في فن الكلام، ولا يعرف أي شيء عن البلاغة - ولكنه كان في مُنتهى البلاغة. ما هو سرّه؟ إنه يملك فُدرّة على الاستبصار. لقد توجّه إلى الله، توجّه إلى المجهول. لقد توصل إلى معرفة العالم المجهول والعالم الذي لا يمكن إدراكه. لقد ارتحل في الفضاء وجلب معه بعض الشظايا. لا يمكنك أن تجلب أكثر من شظايا من الفضاء. ولكن عندما تجلب بعض الشظايا من العالم الذي لا يمكن إدراكه، يمكنك أن تحوّل نوعية الوعي الإنساني على الأرض.

الحكيم - كريشنا، لاو تسو - هؤلاء فنانون مُبدعون. لقد صنعوا المستحيل. المستحيل هو التقاء المجهول مع المعروف، التقاء العقل مع اللاعقل.

أنت تقول: «... لأنني كاتب وكل ما أكتبه متجدّر في الذاكرة». إذاً، أنت لست بكاتب مُبدع، لأنك تكتب عن الماضي، تكتب مذكرات. أنت لا تُضمّن المستقبل في كتاباتك، أنت تكتب سجلات قيد. أنت أمين سجلات القيد. يمكنك أن تصبح كاتباً، ولكن يجب أن تتواصل مع المجهول وليس مع ما يمكن تذكّره. ما يمكن تذكّره ميت. يجب أن تتواصل مع ماهية الأشياء في الحاضر. يجب أن تتعمّق في الحاضر لتتمكّن من إحضار شيء من الماضي.

الإبداع الحقيقي لا ينتج عن التذكّر بل عن الوعي. يجب أن تصبح أكثر وعياً. كلما تعاضم الوعي، تعاضم الإبداع.

أنت تقول، «أنا أتساءل كيف سيكون العالم من غير فنّ ومن غير المخيلة المُبدعة التي تجعل الفنّ ممكناً؟» 99% من الفنّ ليس فنّاً على الإطلاق. إنه نفايات. نادراً ما تجد عملاً فنياً. ومعظم الذين ندعوهم فنانيين هم مقلّدون، تقنيون، وليسوا فنانيين. ولو اختفى 99% من الأعمال الفنية لكان ذلك من حُسن حظ الإنسانية.

الآن هناك شيء ما يدعو للتفاؤل، هذا الشيء هو العلاج بواسطة الفنّ. وهذه طريقة فعّالة في علاج الاضطرابات النفسيّة. يمكن أن نقدّم للمريض النفسيّ فُماًشاً مُعدّاً للرسم، وريشاً للرسم، وألواناً مختلفة، وندعه يرسم ما يشاء. بالطبع ما يرسمه لن يكون رسوماً طبيعيّة وسيعكس اضطرابه العقليّ. ولكن بعد أن يرسم عدّة لوحات، قد تصيبنا الدهشة كونه استعاد صوابه. لقد كانت ممارسة الرسم نوعاً من العلاج التطهيري Catharsis. كانت نوعاً من الاستفراغ.

الآن، ما يُدعى بالفن الحديث ليس سوى ذلك، استفراغ. رسوم بيكاسو قد تكون أنقذته من الجنون، ولكنها ليست أكثر من ذلك. كما أنّ تأمل هذه الرسوم عمل محفوف بالخطر، لأنك قد تُصاب بالجنون من جرّاء ذلك. تحاش أن تضع رسماً لبيكاسو في غرفة نومك، وإلاّ لاحقتك الكوابيس.

ضع إحدى رسوم بيكاسو أمامك وانظر إليها لمدة خمس عشرة دقيقة... وستشعر بالاضطراب، والقلق، والدوار، والغثيان. ماذا يحصل؟ هذا الرسم هو استفراغ بيكاسو، لقد كان مفيداً له، ولكنه ليس مفيداً للآخرين.

أنظر إلى لوحات مايكل أنجلو وستتمكّن من تأملها لساعات. وكلّما تأملتّها، سيطر عليك الصمتُ واستحوذك التأمل. إن عمله بعيد كل البُعد عن الاستفراغ، لقد استحضر شيئاً من المجهول. ولم يُفرغ جنونه في اللوحات التي رسمها أو التماثيل التي نحتها. وهذا لا يعني أنه كان مريضاً وحاول أن يتخلّص من مرضه. لقد كان الأمر عكس ذلك. كان يحمل شيئاً جميلاً إلهياً بداخله وأراد أن يشارك به الآخرين. لقد عاش حياته بطريقة خلاقّة، وأحبّ الحياة بطريقة خلاقّة. لقد سمح للحياة أن تدخل أعماقه، وهكذا أصبح حاملاً. وبعد الحمل تأتي الولادة.

إن بيكاسو يستفرغ، ومايكل أنجلو يقوم بعمل مُبدع. نيتشه يستفرغ، والحكيم يقوم بعمل مُبدع. وهناك فرق كبير بين الإستفراغ والإبداع.

بيتهوفن يقوم بعمل مُبدع. عندما تستمع إلى موسيقاه، يحوّلك، ينقلك إلى عالم آخر.

99% من الفن المعاصر مرضيّ. ولا ضير لو اختفى من الوجود. والعقل المعاصر هو عقل غاضب - إنك غاضب لأنك لا تستطيع التواصل مع ذاتك، لأنك لا تعرف معنى الحياة.

أحد أشهر كُتب جان بول سارتر هو بعنوان «الغثيان». هذه حالة العقل المعاصر؛ إنه في حالة غثيان، في حالة عذاب. والعذاب هو من صنّعه.

لقد أعلن فريديريك نيتشه أن الله ميت. وفي ذات اليوم الذي أعلن فيه موت الله، بدأ بفقدان صوابه. إن عالماً من غير الله، لا بدّ أن يكون عالماً مجنوناً، لأنه يفقد المعنى خارج الإطار الإلهي.

تمعن بهذا الأمر... تقرأ قصيدة؛ كلمات القصيدة ليس لها أي معنى خارج إطار القصيدة. إذا أخذت أي كلمة خارج إطار القصيدة ستفقد معناها وجمالها. تقطع قطعة من لوحة ولن تجد فيها أي معنى خارج إطارها؛ ستفقد معناها وجمالها.

في اليوم الذي أعلن فيه نيتشه موت الله، أصبح خارج الإطار الإلهي. من دون الله، لا معنى للإنسان، لأن الإنسان كلمة صغيرة في الملحمة الإلهية. الإنسان هو نوتة موسيقية صغيرة في الأوركسترا الإلهية. هذه النوتة الصغيرة ستصبح مُمِلّة ورتيبية؛ ستحدث صريرًا في الأذان، ستقودنا إلى الجنون.

هذا ما حصل لنيتشه. لقد آمن بصدق بإعلانه. كان مؤمنًا، مؤمنًا بنفسه. لقد آمن أن الله ميت وأن الإنسان حرّ. ولكنه أصبح مجنونًا وليس حرًا. ولقد اتّبع إنسانٌ هذا القرن نيتشه بأمانة وأصبح مجنونًا على شاكلته. لم يكن في تاريخ الانسانية قرنٌ بجنون هذا القرن. سيكتب عنه المؤرّخون على أنه كان قرن الجنون.

لماذا أنت موجود في هذه الحياة؟ هل وجودك أمر عرضي؟ إذا كان الأمر كذلك، فلا حاجة لوجودك. أنت لا تفي بأي غرض وسيان وجودك أم عدمه. إذا كان وجودك عرضيًا، فكل ما تفعله مُباح. ولا قيمة لأي عمل تقوم به. عندها حتى الجريمة تصبح مُباحة.

ولكن لا يمكن أن يكون كلّ شيء مُباحًا. لأن هناك أمورًا تُدخل الفرحة إلى قلبك وأمورًا تجلب لك الشقاء، أمورًا تجلب لك النشوة وأمورًا تسبّب لك الاحتضار، أمورًا تجعل حياتك جحيماً وأمورًا تجعلها جنة. كلّاً، الأمور ليست جميعها متساوية. ولكن عندما تعتقد أن الله ميت، تفقد اتصالك بالكلّ، والله هو الكلّ.... ماذا تعني الموجة عندما تنسى المحيط. تُصبح لا شيء. كانت موجة عظيمة عندما كانت جزءًا من المحيط.

تذكّر: الفن الحقيقي ينبع من التدين، لأن التدين هو الاتصال بالحقيقة. وعندما تكون على اتصال بالحقيقة، ينبعث الفنّ الحقيقي.

تقول: «أتساءل كيف سيكون العالم من دون فنّ ومن دون المخيلة المُبدعة التي تجعله مُمكنًا؟». لو اختفى 99% مما يُدعى أعمالاً فنية، لأصبح العالم أكثر غنى - لأنه عند ذلك لن يكون هناك سوى الفنّ الحقيقي. لو اختفى هؤلاء الفنانون المزيّفون.... وأنا لا أقول إنهم يجب أن يتوقفوا عن ممارسة الرسم - يجب أن يمارسوا الرسم ولكن كوسيلة علاجية لتشفيفهم من جنونهم. إن بيكاسو يحتاج للعلاج، ويجب أن يمارس الرسم، ولكن يجب أن لا تُعرض رسومه - وإذا عُرضت يجب أن تُعرض في المصحّات العقلية.

الفنّ الحقيقي هو فنّ يساعدك على ممارسة التأمل. تاج محل هو فنّ حقيقي. هل زرت تاج محل؟ زيارته تستحقّ العناء. في ليلة مكتملة القمر سيشعرك مجرد الجلوس هناك وتأمل هذه التحفة الفنية بأنك تواجه المجهول. ستشعر بشيء آتٍ من البعيد. أوّد أن أخبرك قصة تاج محل وكيف تمّ بناؤه.

أتى رجل إيراني يدعى شيرازي إلى الهند وكان فنّانًا عظيمًا، أشهر فنّان في مدينة شيراز. ولقد سبقته الروايات التي تتحدّث عن عظمة فنّه. وكان شاه جهان إمبراطور الهند في ذلك الوقت وكان قد سمع بهذه الروايات فأرسل بطلب شيرازي إلى بلاطه. وكان شيرازي صوفيًا.

سأله شاه جهان: «لقد علمتُ أنه بإمكانك أن تتحت جسم إنسان بكامله بمجرد أن تلمس يده ومن غير أن ترى وجهه على الإطلاق. هل هذا صحيح؟».

قال شيرازي: «أعطني فرصة لأثبت لك ذلك، ولكن بشرط واحد. ضَعْ خمسًا وعشرين امرأة جميلة من قصرِك خلف ستارة بطريقتك تكون أيديهن فقط ظاهرة خارج الستارة. سوف ألمس أيدي جميع النساء وأنتقي إحداهن، ولكن بشرط واحد. وهو أن المرأة التي أقرّر أن أنحت جسدها، إذا جاءت المنحوتة مُطابقة كُليًا لصورتها وكنت أنت وحاشيتك مقتنعًا بذلك، ستصبح - هذه المرأة - زوجتي. أنا أريد زوجة لي من قصرِك».

أجابه شاه جهان: «أنا موافق على شرطك».

وقفت خمس وعشرون فتاة جميلة خلف الستارة. وبدأ شيرازي بلمس يد كل واحدة منهن من الأولى حتى الأخيرة، ولكنه رفضهن جميعًا. كانت ابنة شاه جهان واقفة خلف الستارة، لمجرد اللهو، وعندما رفض الشيرازي جميع الفتيات، مدّت بيدها خارج الستارة. لمس يدها، وأغمض عينيه، فشعر بشيء وقال: «هذه اليد التي أريدها». ووضع خاتمًا في يدها ليشير إلى أنها ستكون زوجته في حال نجاحه بالمهمة.

نظر الإمبراطور داخل الستارة وهاله الأمر: «ماذا تفعل هذه الفتاة هنا؟» ولكنه لم يكن قلقًا لأنه كان يعتقد أن من المستحيل نحت تمثال كامل لامرأة بمجرد لمس يدها.

اخفى شيرازي في إحدى الغرف لمدة ثلاثة أشهر؛ عمل خلالها ليل نهار. بعد انقضاء هذه المدة طلب إلى الإمبراطور وحاشيته الحضور - ولم يُصدّق الإمبراطور عينيه. لقد كانت نسخة طبق الأصل. لم يتمكّن من إيجاد أي خطأ. كان يريد أن يجد أي خطأ، لأنه لم يكن راغبًا بأن يزوّج ابنته لرجل فقير. ولكن الآن عليه أن يوافق على الزواج لأنه لا يستطيع أن ينكث بوعده.

تملّك الإمبراطور شعورًا باليأس. كيف يمكنه أن يُنفذ ابنته؟ طلب من شيرازي الحضور وأخبره بما حصل: «لقد كانت غلطة. والفتاة كانت مخطئة، ولكن أنظر إلى وضعي: لقد توقّيت زوجتي لأنها لم توافق على فكرة زواج ابنتها من رجل فقير. وأنا لا يمكنني الموافقة أيضًا، بالرغم من أنني قطعت لك عهدًا بذلك».

أجاب شيرازي: «لا داعي للقلق. كان من واجبك أن تخبرني بذلك، سوف أعود الآن إلى بلدي شيراز. لن أطلب منك شيئًا. إنس الموضوع».

ولكن الإمبراطور قال: «هذا غير ممكن؛ لا يمكنني أن أنسى، لقد قطعت لك عهدًا. انتظر، دعني أفكر بالأمر».

بعد أن شعر بموقف الإمبراطور الحرج، اقترح رئيس الوزراء عليه الفكرة التالية: «هناك شيء يمكنك عمله: لقد توقّيت زوجتك، وشيرازي فنّان عظيم وقد برهن بحق عن ذلك - اطلب منه أن يصنع لك نموذجًا لضريح يخلّد ذكرى زوجتك. يجب أن يكون ضريحًا جميلًا، الأجل في العالم. وليكن الشرط أنه إذا وافقت على عمله، تزوّجه ابنتك، وإذا لم توافق، ينتهي الأمر».

نوقش الأمر مع الفنان شيرازي وقبل بالشرط.

عندها قال الإمبراطور لنفسه: «لن أوافق أبدًا».

صنع شيرازي عدّة نماذج، وكانت جميعها جميلة. ولكن الإمبراطور لم يوافق على أي منها. تولّى اليأس رئيس الوزراء وخاصة أن النماذج كانت نادرة الجمال، وعدم الموافقة عليها كان أمرًا غير عادل. فقام بنشر الشائعات أن ابنة الإمبراطور كانت في غاية المرض ثم توقّيت.

عندما بلغت الشائعة شيرازي صنع آخر نماذجه. وأحضر شيرازي النموذج إلى الإمبراطور فوافق عليه. وكانت الخدعة أن الفتاة قد توقّيت وهذا يُلغي موضوع الزواج. هذا النموذج كان تاج محل. ولقد صنعه فنّان صوفي. كيف أمكنه أن يصنع تمثالاً كاملاً لامرأة لمجرد لمس يدها مرة واحدة؟ لا بدّ أنه كان يعيش في فضاء آخر. لا بدّ أن عقله كان قد فارقه في تلك اللحظة. ومن المؤكد أن هذه اللحظة كانت لحظة تأمل عظيم. في هذه اللحظة لمس الطاقة، وبتحسس الطاقة تمكّن من صنع التمثال.

يُمكن فهم ما حصل بطريقة منطقية أكثر إذا أخذنا بعين الاعتبار طريقة التصوير التي تعتمد الأشعة فوق البنفسجية لأن لكلّ طاقة نمطها الخاص. لكلّ قسم من جسم الإنسان نمط طاقة مُعيّن. وعندما تتمكّن من معرفة نمط الطاقة، يمكنك أن تعرف الشخصية بكاملها من الداخل والخارج. إن نمط الطاقة هو الذي يخلق كلّ شيء. عندما تفهم نمط الطاقة، تعرف الماضي، والحاضر والمستقبل.

هذا هو الفن الموضوعي. لقد خلق هذا الرجل تاج محل. في ليلة مكتملة القمر، إذا تأملت تاج محل، سينبض قلبك بحبّ جديد. لا يزال تاج محلّ يخزن طاقة الحبّ هذه. ممتاز محلّ، زوجة الإمبراطور، تُوقّيت بسبب حبّها لابنتها. وشاه جهان تألم بسبب الحبّ؛ وشيرازي صنع هذا النموذج لأنه تعدّب كثيراً بعد أن علم بوفاة الفتاة التي أحبّ. لقد وُلِدَ تاج محل في مهد الحبّ والتأمل. ولا يزال يفيض بهذه المشاعر. وهو ليس بناء تذكاريًا عاديًا، إنه مُميّز للغاية. كذلك هي الأهرامات في مصر، وهناك أشياء عديدة في العالم صنعت كأعمال فنية موضوعية - صنعت من قِبل فنّانين مُبدعين، يدركون ماذا يصنعون، صنعت من قِبل متأمّلين عظماء. وكذلك هي الأوبانيشاد، تعاليم الحكيم، وأقوال المسيح. تذكّر، بالنسبة لي، الإبداع يعني التأمل، يعني حالة اللاعقل. عندها فقط يدخل الله إلى أعماقك، و عندها يفيض الحبّ منك، وتفيض الأعمال المُبدعة.

يمكنك أن ترسم أو تنظم الشعر كممارسة علاجية، ولكن يجب أن تحرق هذه الأعمال بعد الانتهاء من صنعها. لأنه لا ضرورة لعرض استفراغك على الناس. والأشخاص الذين يُبدون اهتمامًا بما استفرغته، لا بدّ أنهم مرضى من أمثالك؛ إنهم أيضًا بحاجة للعلاج. لأنك عندما تُبدي اهتمامك بعمل ما، تظهر شخصيتك من خلال هذا الاهتمام.

أنا من مؤيدي الفنّ الموضوعي، الفنّ التأملي. الفنّ الذي ينزل إليك من الله وتصبح أنت وسيلة النقل.

وأنت تقول: «لا يمكن لتولستوي أن يُصبح الحكيم». من قال لك ذلك؟ يمكن لتولستوي أن يصبح الحكيم، وسيصبح الحكيم عاجلاً أم آجلاً.

وأنت تقول: «ولكن هل بإمكان الحكيم أن يكتب قصة الحرب والسلام؟» وما الذي كان يفعله الحكيم؟ ماذا أفعل أنا هنا؟ هل قرأت أغنية كريشنا الإلهية؟ - إنها قصة الحرب والسلام! يمكن لتولستوي أن يكتب قصة الحرب والسلام وقصة أنا كارينينا، وأشياء أخرى، ليس لأنه تولستوي، بل بالرغم من كونه تولستوي. لقد كتب دوستويفسكي قصة الأبله، وقصة الجريمة والعقاب، وقصة الأخوة كارامازوف - ليس لأنه كان دوستويفسكي، بل بالرغم من كونه دوستويفسكي. كان فيه شيء من الحكيم؛ شيء منه كان في مُنتهى التدين. لقد كان دوستويفسكي رجلاً مُتديّنًا - ليس كُليًا، ولكنّ جزءًا منه كان متديّنًا. لهذا كانت قصة الأخوة كارامازوف في

مُنتهى الروعة. إنها لم تُصنع من قِبل رجل عادي؛ لقد أتت من مصدر إلهي. لقد تمأك
الله دوستويفسكي، وأصبح وسيلة نقل.

كآبة ما بعد الولادة

عندما أكون في طور تأليف كتاب، أفيض بالطاقة والبهجة. ولكن عندما أنتهي، أشعر بالفراغ والاحتضار لدرجة أنني أفقد الرغبة في الحياة. لقد بدأت الكتابة الآن، وبالرغم من اللذة التي أشعر بها وأنا أكتب، تسيطر عليّ أثناء التأمل أفكارُ الخوفِ من الشعور بالفراغ الذي أتوقّعه بعد أشهر من الآن.

هذه الفقرة هي من كتابة إحدى الروائيات. لقد قرأتُ رواياتها وهي جميلة. ولديها قدرة فائقة على حبكِ القصة وسردها بطريقة جميلة. وهذه التجربة يمرّ بها كلّ الأشخاص المُبدعين تقريبًا. ولكنّ تفسيرها لمشاعرها تفسير خاطئ. والكثير يتوقّف على التفسير.

عندما تحمل امرأة طفلًا في أحشائها، فهي مملّية. بالطبع عندما يولد الطفل، ستشعر بالفراغ. سوف تفتقد الوليد الجديد الذي كان يتخبّط في أحشائها. لقد خرج الطفل؛ وستشعر بالفراغ لعدة أيام. ولكن يمكنها أن تحب الطفل، ويمكنها أن تنسى هذا الشعور بالفراغ من خلال محبة الطفل، ورعايته ومساعدته على النمو. بالنسبة للفنان هذا غيرُ ممكِن. أنت ترسم أو تكتب قصة أو قصيدة؛ وعندما تنتهي من عملك تشعر بفراغ هائل. ماذا يمكنك أن تفعل مع الكتاب الآن؟ إذا، الفنان هو في موقف أكثر صعوبة من موقف الأم. عندما ينتهي الكتاب، لن تعمل عليه بعد ذلك - وهو الآن ليس بحاجة للحبّ أو المساعدة. إنه لن ينمو. وهو كامل، وقد وُلِدَ ناضجًا.

عندما تقوم بعمل فنيّ، يكون فكري مليء بأشياء عديدة. إنه مشغول. عندما تكتب قصيدة أو قصة يكون فكري مشغولًا. إنه مليء بالأفكار، والمشاعر، والشخصيات. وعندما تنتهي من العمل على الكتاب، تذهب الأفكار والمشاعر من ذهنك فجأة. وتشعر بالفراغ. ولكن لا داعي لأن تشعر بالحزن إذا نظرت إلى الأمر بالطريقة الصحيحة، وهذا ما يُسمّيه الحكيمُ الرؤية الصحيحة، ستشعر أنك تحرّرت من الهوس، من الانشغال. ستشعر أنك أصبحت نظيفًا وتخلّصت من أتفالك. إن شخصيات القصة توقّفت عن الحركة في ذهنك. ولقد غادر الضيوف وأصبح المُضيف في تمام الحرية وينعم بالراحة التامة. تمتّع بذلك! إن تفسيراتك الخاطئة هي التي تخلق فيك الحزن والخوف. تمتّع بذلك! ألم تلاحظ أنه عندما يأتيك زائر يتملّك شعورٌ جيّد، وعندما يغادر يتملّك شعورٌ أفضل؟ يتركك وشأنك، فقد حصلت الآن على فُسحتك الخاصة.

إن كتابة رواية أمرٌ قد يودّي إلى الجنون لأن كثيرًا من الشخصيات تصبح ضيوفك، ولكلّ شخصية طُرقها الخاصة. بعضٌ منها لا يُصغي إلى الكاتب، وليس دائمًا. وفي بعض الأحيان يتبع طُرقه الخاصة ويُجبر الكاتب على السير في اتجاه مُعيّن. يبدأ الكاتب الرواية، ولكنه لا ينهيها. تلك الشخصيات تُنهي الرواية بنفسها.

الأمر يشبه ولادة طفل. يُمكنك أن تلدي طفلًا، ولكنّ الطفل بعد ذلك يبدأ بالحركة مُعتمدًا على ذاته. لقد توقّعت الأم أن يصبح ابنها طبيبًا ولكنه أصبح مُتسولًا. ماذا بإمكانها أن تفعل؟ لقد حاولت كلّ ما في وسعها، ولكنّ ولدها أصبح مُتسولًا.

الشيء ذاته يحصل عندما تكتب رواية: تبدأ بشخصية مُعيّنة - تريد أن تجعل منها قديسًا ولكنها تصبح شرييرًا. وكما أن الأم تقلق على مصير ابنها، كذلك الروائي يقلق على مصير

شخصياته. لقد أراد الروائي أن تصبح الشخصية قديسًا ولكنها أصبحت شرييرًا، ولا يمكنه أن يفعل أي شيء حيال ذلك. إنه يشعر بالعجز حيال شخصيات الرواية، كما أنهم يستغلونه. إنهم من صنع مُخيلته، ولكنه عندما يتفاعل معهم يصبحون حقيقيين تقريبًا. وإذا لم يتخلص منهم، لن يعرف طعم الراحة. وإذا كان في ذهنك كتاب، يجب أن تكمل كتابته لتتخلص منه! إنه نوع من العلاج التطهيري، إنه التخلص من الأعباء التي تثقل كاهلك.

لهذا السبب نرى أن معظم المُبدعين يُصابون بالجنون في أغلب الأحيان. أما الأشخاص العاديين فلا يُصابون بالجنون، فليس لديهم أي شيء يسبب لهم الإصابة بالجنون. قد يُصاب فان غوغ أو نيجينسكي بالجنون. لماذا يصابون بالجنون؟ لأن ذهنهم يعجّ بأشياء مختلفة، وهم لا يملكون أي فُسحة خاصة بهم.

تذكر، عند انتهاء الكتاب وولادة الطفل، كُنْ فَرِحًا. تمتّع بهذه الفسحة التي حصلت عليها، لأنه عاجلاً أم آجلاً سينبعث كتاب جديد. كما تأتي الأوراق من الأشجار، كذلك تأتي القصائد من الشاعر، والقصص من الروائي، والرسوم من الرسّام، والأغاني من المغنّين. كل ذلك يحصل بصورة طبيعية، ولا يمكن أن نفعل شيئاً حياله.

وهكذا عندما تتساقط أوراق الأشجار في فصل الخريف، وتقف الشجرة وحيدة عارية من الأوراق، تمتّع بذلك. لا تعتبر ذلك فراغًا، اعتبره نوعًا جديدًا من الامتلاء - أنت مليء بنفسك. لا أحد يُسبب لك المضايقات، وأنت تستريح مع نفسك. وفترة الراحة هذه يحتاج إليها كل فنّان؛ إنها عملية طبيعية. إن جسد الأم بحاجة لبعض الراحة. ولكن ما يحصل في الشرق وخاصة في الهند، أن الأم تلد طفلاً وتحملُ بطفلٍ آخر على الفور. تُصبح المرأة مُسنّة تقريبًا وهي في سنّ الثلاثين لعدم حصولها على أي فترة راحة لتجديد طاقتها؛ تصبح مُتعبة ومنهكة. تختفي نضارتها وجمالها. عندما تلد المرأة طفلاً، فإنها بحاجة لفترة راحة لتسترجع طاقتها وتصبح قادرة على الولادة مجددًا.

عندما تنتهي من صنع عملٍ فني رائع، ستشعر بالفراغ. أما إذا كان عمالك قد صنع بقصد المال، فمن غير الممكن أن يكون هذا العمل عميقًا ورائعًا. ولذلك لن تشعر بالفراغ بعد الانتهاء منه. وكلما كان العمل ينبع من أعماقك، ازداد شعورك بالفراغ. كلما تعاضمت العاصفة، تعاضم الصمت الذي يليها. تمتّع بالعاصفة وتمتّع بالصمت الذي يليها. كلاهما مُفيد لك. النهار جميل، وهو مليء بالنشاط؛ والليل جميل أيضًا، وهو مليء بالهدوء والفراغ. إنه وقت النوم والراحة. وفي الصباح تستعيد كامل طاقتك وتتحمّر لأعمال جديدة.

لا تخش الليل، الكثيرون يخشونه. أعرف مُتسوّلة أناديا «نيشا»، وهي كلمة تعني الليل. تأتي إليّ من وقت لآخر وتقول: «أرجوك أن تُغيّر اسمي». أسألها لماذا؟ تقول: «أنا أخشى الليل، لماذا من بين كلّ الأسماء أعطيتني هذا الاسم؟ أرجوك أن تُغيّره». ولكنني لن أغيّره. لقد أعطيتها هذا الاسم عن قصد لأنني أعرف أنها تخاف الظلمة، تخاف الهدوء، تخاف الاسترخاء والاستسلام. علينا أن نتقبّل الليل أيضًا. عندها فقط نكتمل ونُصبح كلاً.

لا تُضع هذه الفرصة. هذا الفراغ جميل، وحتى أجمل من لحظات الإبداع. لأن الإبداع يأتي من الفراغ. تمتّع بحالة الفراغ هذه، تقبّلها، استقبلها كنعمة وسترى أنك ستكون في وقت قريب مليئًا بالنشاط وستضع كتابًا أكثر روعة. لا داعي للقلق، فالأمر لا يتعدى إساءة تفسير ظاهرة جميلة.

ولكنّ الإنسان يحيا في الكلمات. عندما تُعطي اسماً خاطئاً لشيء ما، تبدأ بالخوف منه. كُنْ دقيقاً، شديد الدقة. تذكر دائماً ما تقول، لأن القول يتعدى القول، وله ارتباط عميق بالوجود. عندما تُسمّي شيئاً ما «فراعاً» تصبح خائفاً من الكلمة بحدّ ذاتها.

في الهند لدينا كلمة أفضل للتعبير عن الفراغ، تُسمّيه «شونيا» shunya. والكلمة جميلة لا تتضمّن أيّ معنىّ سلبيّ. إنها تعني فضاءً من غير حدود فحسب. ولقد سمّينا الهدف النهائي شونيا. يقول الحكيم: عندما تُصبح شونيا، عندما تصبح لا شيء على الإطلاق، عندها تكون قد وصلت.

إن الفنّان هو في طريقه ليصبح صوفياً. وجميع النشاطات الفنيّة هي في طريقها لتصبح مُتديّنة. عندما تكون ناشطاً، تكتب قصيدة، فأنت في حالة الفكر. وعندما تولد القصيدة، فأنت مُستهلك، والفكر يأخذ قسطاً من الراحة. استخدم هذه اللحظات لتتوحّد مع وجودك. لا تُسمّ ذلك فراعاً، سمّه الكليّة، الوجود، الحقيقة، سمّه الله. عندها يمكنك أن تشعر بهذه النعمة.

الإبداع والتهجين

أشعر بحاجةٍ مُلحةٍ لأعبر عن نفسي بطريقةٍ فنيّةٍ، ولقد تلقيتُ تدريبًا كلاسيكيًا مُنضبطًا في الموسيقى الغربية. في غالب الأحيان أشعر أن هذا التدريب يقضي على الإبداع العفويّ، ولقد وجدتُ أنه من الصعب عليّ أن أقوم بتمريناتي بطريقةٍ منتظمةٍ مؤخرًا. ولم أعد أعرف ما هي مزايا الفنّ الحقيقي وبأيّ طريقةٍ يمكن للفنان أن يُنتج ويقدم فنًا حقيقيًا. كيف يمكنني أن أشعر بالفنان في داخلي؟

المفارقة في الفنّ أنه يجب عليك أن تتعلّم مبادئه أولاً ومن ثمّ تنساها كليًا. إذا كنت لا تعرف مبادئه الأساسية، فلن تستطيع أن تغوص في أعماقه. ولكن إذا كنت ضالعاً فقط في تقنيّاته، وتستمر بتطبيق هذه التقنيّات مدى الحياة، فقد تصبح ماهرًا على المستوى التقنيّ، ولكنك تبقى تقنيًا؛ لن تُصبح أبدًا فنانًا.

يقول الحكماء: إذا أردت أن تكون رسّامًا، تعلّم الرسم لمُدّة اثنتي عشرة سنة، ومن ثمّ انسَ كلّ شيء عن الرسم لمُدّة اثنتي عشرة سنة. ولمُدّة اثنتي عشرة سنة، تأمل، اقطع الحطب، انتشل الماء من البئر. افعل أيّ شيء ولكن لا ترسم.

بعد كلّ هذا الوقت ستصبح قادرًا على الرسم. بعد أربع وعشرين سنة من التدريب، واثنتي عشرة سنة تدريب في تعلّم التقنيّة واثنتي عشرة سنة تدريب على نسيانها، بعد ذلك يمكنك أن ترسم. أصبحت التقنيّة الآن جزءًا منك؛ ولم تعد معرفةً تقنيّةً صِرْفَةً. لقد أصبحت جزءًا من دمك، من كيانك. يمكنك الآن أن تكون عفويًا، ولن تُعيق التقنيّة عفويّتك. هذه هي تجربتي أيضًا.

الآن لا تُفمّ بأية تمارين. إنس أمر الموسيقى الكلاسيكية نهائيًا. فمّ بأشياء أخرى مختلفة: اعتن بالحديقة، مارس الرسم والنحت، وانس أمر الموسيقى الكلاسيكية كليًا، وكأن لا وجود لها. أبقها في أعماقك لعدّة سنوات حتى تتمكن من هضمها. لن تكون تقنيّة بعد ذلك. ثم عندما تتملّك رغبة مفاجئة بالعزف في يوم ما، ابدأ بالعزف. وعندما تبدأ العزف مُجددًا، لا تُعط أي اهتمام للتقنية، وإلا فقدت عفويّتك.

كُن مُبتكرًا بعض الشيء - هذه هي العفوية. ابتكر طُرقًا جديدة. جرّب شيئًا لم يجربه أحد من قبل. إن أعظم الأعمال المُبدعة تنتج عن أشخاص يعملون في حقلٍ آخر.

على سبيل المثال، إذا ابتدأ عالم الرياضيات بلعب الموسيقى، سيجلب شيئًا جديدًا إلى عالم الموسيقى. وإذا أصبح أحد الموسيقيين عالم رياضيات، سيجلب شيئًا جديدًا إلى عالم الرياضيات. إن أعظم الأعمال المُبدعة يُنتجها أشخاص انتقلوا من حقل اختصاص إلى حقلٍ آخر. إنها تُشبه عملية التهجين. والأطفال الذين يولدون نتيجة تهجين أعراق مختلفة، يكونون أكثر جمالًا وذكاءً.

لهذا السبب ومنذ قرون عديدة، مُنع الزواج بين الأخ والأخت في كل أنحاء العالم. إن الزواج بين أشخاص تربط بينهم علاقة قُربى بعيدة أو لا تربط بينهم أية علاقة قُربى أفضل من زواج الأقرباء. والتزاوج مع عرقٍ آخر هو أفضل بكثير.

تحريم زواج الأخ للأخت هو أمر في غاية الأهمية. ولكن هذا الأمر لم يعالج بالتفصيل الدقيق ليلبغ خاتمتَه المنطقية المتطرفة. يقضي المنطق المتطرف بأن لا يتزوج الهندي هنديةً، ولا يتزوج الألماني ألمانيةً. والأفضل أن يتزوج الألماني هنديةً، والهندي يابانيةً، والياباني إفريقيةً، والإفريقي أميركيةً، واليهودي مسيحيةً، والمسيحي هنديةً. هذه أفضل طريقة للتزاوج. وهذا الأمر سيرفع من مستوى الوعي الإنساني. سيعطينا أطفالاً أكثر يقظة، وأكثر حيوية، وأغنى في جميع المجالات. ولكننا على درجة من حماقة لا تسمح لنا بقبول أي شيء من هذا القبيل.

الناس تعادي بعضها بعضاً. لقد طُبِعوا على هذه العدائية لزمن طويل حتى أنهم نَسُوا كُلياً أننا جميعاً مخلوقات بشرية، وأنا ننتمي لنفس الأرض، لنفس الكوكب. كلما بُعِدَتْ علاقةُ القُربى بين الزوج والزوجة، كانت الحصيلة أفضلَ على مستوى الأطفال. والشيء نفسه يحصل في الموسيقى، والرسم، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء - نوعٌ من التهجين. عندما ينتقل شخص ما من حقل مُعيّن إلى حقلٍ آخر، يجلب معه نكهةً خاصةً بالحقل الذي كان يعمل فيه. ماذا يمكنك أن تفعل بالموسيقى عندما تنتقل إلى حقل الفيزياء؟ يجب أن تتسى الفيزياء كُلياً، ولكنها تبقى في خلفيتك. لقد أصبحت جزءاً منك؛ ستترك أثراً في كلِّ ما تقوم به. إن الفيزياء تبعد كثيراً عن الموسيقى، ولكن إذا كنت قد تدرّبت في حقل الموسيقى، فعاجلاً أم آجلاً ستجد نظريات وفرضيات فيها شيء من لون ونكهة الموسيقى. قد تبدأ بالشعور أن العالم هو في حالة انسجام وليس في حالة فوضى. قد تبدأ بالبحث في أعماق عالم الفيزياء لتجد أن الوجود يُشابه الأوركسترا. وهذا الأمر ما كان مُمكناً لو لم تعرف أي شيء عن الموسيقى.

أنا أقترح على الناس أن ينتقلوا من حقل اختصاص إلى حقلٍ آخر. عندما تعتاد على حقل مُعيّن، عندما تصبح أسيراً لِتَقْنِيَّاتِهِ، انتقلْ إلى حقلٍ آخر. إنها فكرة رائعة أن تنتقل من حقل إلى حقلٍ آخر. ستجد أنك أصبحت أكثر إبداعاً.

هناك شيء يجب أن تتذكّره: إذا كنت مُبدعاً حقاً، قد لا تُصبح شهيراً. والشخص المُبدع لا يلبغ الشهرة إلا بعد وقت طويل لأنّ عليه أن يخلق قيماً ومعايير جديدة لتقييم إبداعه. عليه أن ينتظر خمسين عاماً على الأقل؛ وعندها سيكون ميثاً في أغلب الظنّ. عندها فقط يبدأ الناس بتقديره. إذا أردت الشهرة، لا تتوقّع الإبداع إذاً. وكل ما عليك أن تفعله هو أن تتمرّن بصورة مستمرة لتزيد مهارتك وتتمكّن من صنع الأشياء على أكمل وجهٍ من الناحية التقنية، وستصبح شهيراً.

عندما تجلب شيئاً جديداً إلى العالم، لا بدّ أنك ستعرض للرفض، فالعالم لا يتقبّل الأشياء الجديدة بسهولة. وهو غالباً ما يعاقب المُبدعين، تذكّر ذلك. العالم يُقدّر الأشخاص غير المُبدعين، الماهرين والكفوئين تقنياً، لأن الكمال التقني يعني كمال الماضي. والجميع يفهم الماضي، لأننا تعلمنا فهمه. وعندما نجلب شيئاً جديداً إلى العالم فلا أحد سيتمكّن من تقديره؛ إنه في مُنتهى الجِدّة بحيث لا توجد معايير مناسبة لتقييمه بواسطتها.

فنسنت فان غوغ لم يحظَ بأي تقدير عندما كان على قيد الحياة. لم يتمكّن من بيع حتى لوحة واحدة. والآن تُباع الواحدة من لوحاته بملايين الدولارات. حتى أن الناس لم تكن لِتقبّل هذه اللوحات كهديّة منه. لقد أعطى مُعظم لوحاته لأصدقائه، ولأيّ شخص كان على استعداد لأن

يعلقها في غرفته. وكان معظم الناس مُتردِّدين في تعليق لوحاته في عُرفهم خشية أن ينتقدهم الآخرون ويعتبروهم عديمي الذوق.

كان لفان غوغ عالمه الخاص. لقد أدخل رؤية جديدة إلى عالم الفنّ، وقد تطلّب ذلك بضعة عقود من السنوات، تدريجيًّا بدأ العالم يقدر موهبته. ذلك أن الإنسانية في غاية البطء والبلادة، وهي دائماً متخلفة في الزمن. والشخص المُبدع يسبق زمنه دائماً. وهكذا تولد الهوة.

إذا أردت أن تكون مُبدعاً حقاً، يجب عليك أن تتقبّل إمكانيةً عدم بلوغ الشهرة. وإذا أردت أن تكون مُبدعاً حقاً، يجب أن تتعلّم حبّ الفنّ لأجل الفنّ وليس لدوافع أخرى. إذا وجدت بعض الأصدقاء ليتمتعوا بعملك، فهذا أمرٌ جيّد؛ وإذا لم تجد أحداً ليتمتع به، تَمَتّع به بمفردك. وإذا تَمَتّعت به وشعرت أنك حققت ما تريده، فهذا كافٍ.

تقول: «أنا لم أعد أعرف ما هي مميزات الفنّ الحقيقيّ».

الفنّ الحقيقيّ هو العمل الذي يساعدك على أن تصبح صامتاً وفرحاً والذي يجعلك تريد الرقص والاحتفال بمشاركة الآخرين أو من دونها. الفنّ الحقيقيّ هو التأمل، هو جسْرُ بينك وبين الله. الفنّ الحقيقيّ هو أن تُصبح مُنخرطاً كلّ الإنخراط في عملك لدرجة تخفي معها «الأنا».

لا تشغل بالك إذاً بما هيّة الفنّ الحقيقيّ. إذا كنت تَمَتّع بما تعمله، إذا كنت مُنهمكاً بما تعمله لدرجة نسيان الذات، إذا كان عملك يُشعرك براحة البال، فهذا هو الفنّ الحقيقيّ. ولا تقلق لما يقوله النقاد. فهم لا يعرفون أي شيء عن الفنّ. في الواقع، إن الأشخاص الذين لا يتمكّنون من أن يصبحوا فنانيين، يصبحون نقاداً. إذا لم يكن بإمكانك أن تشارك في السباقات الأولمبية، يمكنك على الأقل أن تقف إلى جانب الطريق وترشق المتسابقين بالحجارة. يمكنك أن تفعل هذا بسهولة. وهذا ما يفعله النقاد.

لقد سمعتُ أن صوفيًّا كان مُولعاً بالرسم، وكان جميع النقاد في عصره ينتقدون أعماله. وبعد أن سيّم من ملاحظات هؤلاء النقاد المتكرّرة، علّق جميع لوحاته خارج المنزل ثم دعا جميع النقاد وطلب إليهم أن يُحضروا معهم ريشَ رسمٍ وألواناً ليتمكّنوا من تصحيح رسومه - لقد انتقدوه بما فيه الكفاية؛ والآن حان الوقت ليصحّحوا أخطاءه. ولكن لم يحضر أيّ ناقد.

من السهل أن ننتقد ولكن من الصعب أن نُصحّح الخطأ. بعد هذه الحادثة، توقّف النقاد عن انتقاد لوحاته. لقد فعل عين الصواب.

الناس الذين ليست لديهم قدرة على الخلق، يصبحون نقاداً - لا تقلق بشأنهم. الشيء المُهمّ هو مشاعرك الداخلية. إذا كان تأليف الموسيقى يُعطيك شعوراً بالدفء الداخلي، ويُشعرك بالفرح، ويجعل «الأنا» تختفي، فإن هذا العمل يُصبح جسراً بينك وبين الله. يمكن للفن أن يكون أرقى أنواع الصلاة والتأمل. وإذا كان بإمكانك أن تقوم بأي عمل فني كالرقص، والموسيقى، والرسم، فهذا أفضل طريقة للصلاة والتأمل. عندها لن تكون بحاجة لأي نوع آخر من التأمل. هذا سيقودك ببطء، خطوةً تلو خطوة، إلى الله. هذا هو معياري. إذا كان عملك يقودك إلى الله، فإنه فنّ حقيقيّ.

فن جمع المال

هل يمكنك التحدّث عن المال؟ ماذا عن كلّ هذه المشاعر تجاه المال؟ ما الذي يجعله بهذه القوة لدرجة أن الناس تُضحي بأرواحها من أجله؟ هذا سؤال في مُنتهى الوُجَاهة.

جميع الأديان كانت ضدّ جمع الثروة لأنها تُمكنك من شراء كلّ ما تريده في الحياة. يمكنك أن تشتري تقريباً كلّ شيء ما عدا تلك القيم الروحية كالحبّ، والعطف، والتنوّر، والحرية. يمكنك شراء أي شيء آخر بواسطة المال. وبما أن جميع الأديان كانت ضدّ الحياة، كان من الطبيعي أن تكون ضدّ المال. إن الحياة بحاجة للمال لأنها بحاجة للأشياء المريحة، للطعام الجيد، للملابس الجيدة، للمنازل المريحة. الحياة بحاجة للفنون الجميلة كالشعر، والموسيقى والرسم.

إن الإنسان الذي لا يتمكّن من فهم الموسيقى الكلاسيكية هو إنسان فقير، أصمّ. قد يكون بإمكانه السماع وقد تكون جميع حواسّه تعمل بصورة سليمة من الناحية الطبية، ولكنّها غير سليمة من الناحية الميتافيزيقية. إذا لم يكن بإمكانك أن ترى جمال الأدب الرائع في «كتاب مرداد» The Book of Mirdad، فأنت أعمى.

لقد صادفتُ عددًا كبيرًا من الناس الذين لم يسمِعوا بكتاب مرداد. إذا أردتُ أن أضع لائحةً بأسماء الكتب العظيمة، يكون هذا الكتاب على رأس القائمة. ولتتمكّن من رؤية جمال هذا الكتاب، يجب أن تكون قادرًا على تقدير الأعمال الفنية الحقيقية.

لنهمّ الموسيقى الكلاسيكية يجب عليك أن تدرسها - وهذه عملية تعلّم طويلة. ولتتعلم يجب أن تكون مُتحرّرًا من الفقر، والجوع، وجميع الأفكار المسبّقة. منطق الأديان في غاية الوضوح. إذا لم يكن لديك المال، لا يمكنك أن تحصل على أي شيء آخر. والإنسان من غير مالٍ سيصبح جائعًا، مُتسولًا ومن غير كساء. وبذلك لا يمكننا أن نتوقّع منه أن يُخصّص وقتًا لدوستويفسكي، أو نيجينسكي، أو برتراند راسل، أو ألبرت آينشتاين. هذا مستحيل.

جميع الأديان ندّدت بالمال بشدّة وأشادت بالفقر، وحسب رأيي، لقد ارتكبت بذلك خطأ جسيمًا. إسمع ما يقوله المسيح: بإمكان الجمل أن يمرّ عبر فتحة الإبرة، ولكن ليس بإمكان الرجل الغني أن يمرّ عبر أبواب الجنّة. هل تعتقدون بصواب هذا القول؟ المسيح مستعدّ لأن يمرّر جملاً عبر فتحة الإبرة - وهذا أمر مستحيل - ولكنه غير مُستعد لأن يمرّر رجلاً غنيًا عبر أبواب الجنّة. الأديان إذا تُندد بالمال والثروة بشدّة. وهذا يجعل العالم منقسمًا إلى فئتين: 98% من الناس يعيشون في حالة فقر ولكنهم يجدون عزاءً بأنهم سيذهبون إلى الجنّة حيث لا يمكن للأغنياء أن يذهبوا، وسوف تستقبلهم الملائكة بالترحاب؛ و2% من الأغنياء الذين يعيشون حالة شعور بالذنب لكونهم أغنياء. لا يمكنهم أن ينعَموا بثروتهم بسبب الشعور بالذنب، وهم أيضًا قلقون من ألا يتمكّنوا من دخول الجنّة.

بسبب هذا الوضع يعيش الغنيُّ بحالة خوفٍ دائمة. يُفكّر بالجنّة التي لا يمكنه دخولها. ويعلم أن حياته قصيرة، وأنه ذاهب من دون شك إلى الظلمة والجحيم.

أما الفقير فإنه يعيش في الجحيم، ولكن لديه عزاء واحد: دخول الجنة. ومن المدهش أن نرى أن الناس أكثر سعادة في الدول الفقيرة منها في الدول الغنية. لقد صادفتُ أفقرَ الناس في الهند وهم في حالة رضى تام. والأميريكيون يطوفون حول العالم ليحصلوا على بعض الإرشاد الروحي - وهم بالطبع يريدون دخول الجنة.

لقد انقلب هذا العالم على نفسه.

ربما كنتُ أنا من الأشخاص القلائل الذين يحترمون المال والثروة، لأنها تجعل الإنسان غنيًا على مستويات متعددة.

الرجل الفقير لا يمكنه أن يفهم موزارت، والرجل الجائع لا يمكنه أن يفهم ماكل أنجلو، المتسول لن يلقي حتى نظرة واحدة على لوحة من لوحات فان غوغ، والناس التي تعاني الجوع ليس لديها طاقة كافية لتجعلها ذكية. لا يمكن للفقير والجائع أن يكون ذكيًا لأن طاقته مُبددة في السعي وراء الرغيف. لا يتمكّن الفقراء من فهم رواية الأخوة كارامازوف، ولكن يمكنهم الإصغاء إلى الكاهن في الكنيسة.

لا الكاهن يفهم ما يقوله ولا المستمعون. مُعظمهم يغطّ بالنوم لأنهم مرهقين بعد عمل مُضن لتأمين لقمة العيش.

والكاهن يشعر بالراحة لكون الجميع يغطّون بالنوم، لأنه بذلك لن يحتاج لتحضير عِظّة جديدة في الأسبوع القادم. يمكنه استخدام العِظّة القديمة لأن الجميع كانوا نيامًا ولن يعرفوا أنه يستخدم عِظّة الأسبوع الفائت.

الثروة هي بأهمية الموسيقى الجميلة، والأدب الرائع، والتحف الفنيّة.

هناك أشخاص يولدون مع موهبة ليصبحوا موسيقيين. بدأ موزارت بتأليف الموسيقى الجميلة منذ كان في الثامنة من عمره. لقد وُلِدَ معه الإبداع. ووُلِدَ فان غوغ لأب فقير يعمل في منجم فحمٍ حجري؛ لم يتلقَ أيّ تعليم رسمي، ولم يذهب إلى أيّ مدرسة فنيّة، ولكنه أصبح من أعظم رسّامي العالم.

منذ أيام قليلة، شاهدتُ صورةً لإحدى لوحاته. وكانت هذه اللوحة موضع سخرية من قبل جميع الرسّامين في عصره. لقد رسم النجوم بطريقة لم يرسمها أحدٌ من قبل: رسمها كسحاباتٍ مُضيئة، كلّ نجمة في حالة حركة؛ كانت تبدو وكأنها دولا ب يدور باستمرار.

لقد نعته الرسّامون بالجنون بسبب الطريقة التي رسم بها النجوم. بالإضافة إلى ذلك، كانت الأشجار التي رسمها تحت النجوم، تعلقو على النجوم.

ولقد اكتشف علماء الفيزياء أن فان غوغ رسم النجوم كما هي عليه بالفعل. النجوم ليست كما تبدو للناس، ثابتة، وإنما هي متحركة كما رسمها فان غوغ. ولا بدّ أنه كان ثاقب النظر ليرى ما لم يتمكّن علماء الفيزياء من رؤيته إلا بعد مئة عام، مُستعينين بمختبراتهم وتقنيّاتهم الحديثة.

وعندما سُئِلَ فان غوغ عن الأشجار التي تعلقو على النجوم: «أين وجدت هذه الأشجار التي تعلقو على النجوم؟» أجاب: «هذه الأشجار هي الأشجار التي كنتُ أجلس بجانبها وأستمع إلى طموحاتها. لقد سمعتها تقول لي إنها تمثل طموح الأرض في بلوغ السماء.»

هناك أمر لا ريب فيه، وهو أن الأشجار تتحرك باتجاه مُعاكس للجاذبية. والأرض تسمح لها بذلك وتساعدتها. وربّما أرادت الأرض أن تتواصل مع النجوم. إن الأرض حيّة،

والحياة تريد أن تملو وتعلو باستمرار. ولا حدود لتطلعاتها. كيف للفقراء أن يفهموا ذلك؟ ليس لديهم الذكاء الكافي.

كما أن هناك أشخاصًا يولدون شعراء أو رسّامين، وهناك أشخاص يولدون صانعي ثروات. وهؤلاء الأشخاص لم يُعطوا حقّهم من التقدير. ليس بإمكان كلّ منّا أن يصبح هنري فورد. لقد وُلِدَ هنري فورد فقيرًا وأصبح أغنى رجل في العالم. لا بدّ أنه كان يتحلّى بموهبة لصناعة الثروات. وهذا شيء أصعب من صناعة لوحة زيتية، أو قطعة موسيقية، أو قصيدة شعر. صناعة الثروات ليست بالعملية السهلة. يجب أن تُقدّر هنري فورد كما تُقدّر أيّ فنّان حقيقي - رسّام، أو نحات، أو شاعر. في الواقع يجب أن نعطيه مزيدًا من التقدير لأن بإمكانه أن يشتري بماله كلّ اللوحات، والمنحوتات، والقصائد الشعرية. أنا أحترم المال. إنه أحد أعظم اختراعات الإنسان. كما أنه وسيلة فحسب. والحمقى فقط يُنددّون بالمال. ربّما أُصيبوا بالحسد لأن الآخرين يملكون المال وهم لا يملكونه. وهم يُعبّرون عن حسدهم بالتنديد.

المال ليس إلا طريقة علمية لتبادل الأشياء. قبل اختراع المال، كان الناس يعانون صعوبات جمّة في عملية التبادل. كان هناك نظام مُقايضة في كلّ أنحاء العالم. لديك بقرة وتريد أن تحصل على حصان. قد تُمضي سنين عديدة من حياتك لتتمكّن من إجراء هذه المقايضة... يجب أن تجد شخصًا يريد أن يبيع حصانًا ويريد أن يشتري بقرة في نفس الوقت. إنها مُهمّة صعبة. قد تجد شخصًا لديه حصان للبيع ولكنه غير مُهتمّ بشراء بقرة. وقد تجد شخصًا يريد أن يشتري بقرة ولكن ليس لديه حصان للبيع.

هكذا كان الحال قبل أن دخل المال إلى الوجود. بالطبع، كان الناس فقراء: لم يكن بإمكانهم بيع الأشياء أو شراؤها. كانت مُهمّة صعبة ولكنّ المال جعلها سهلة. إن الرجل الذي يريد شراء البقرة لم يعد بحاجة لبحث عن شخص يريد شراء حصان. يمكنه أن يبيع البقرة فحسب، يأخذ المال، ويجد شخصًا يريد أن يبيع حصانًا ولو أنه غير مُهتمّ بشراء بقرة.

أصبح المال وسيلة التبادل، واختفى نظام المُقايضة من العالم. لقد قدم المال خدمة كبيرة للإنسانية - وبما أنه أصبح بإمكان الناس القيام بعمليات بيع وشراء، أصبحوا بالطبع أكثر غنى. يجب أن نفهم هذا الأمر. كلّما تحرّكت الأموال، ازدادت أموال الناس جميعًا. يجب أن لا تبقى الأموال في جيوبنا أو في المصارف. أنفق المال في اللحظة التي تحصل فيها عليه: لا تُبقه في الخزانة، لأنك بذلك تمنعه من التحرك والنمو.

المال هو اختراع عظيم. إنه يجعل الناس أكثر غنى، يجعلهم قادرين على الحصول على أشياء لا يمتلكونها.

تخلّ عن جميع الأفكار التي فُرِضت عليك جيال المال.

احترم المال. اصنع الثروة، لأنه بعد أن تصنع الثروة ستنتفتح أبعادًا جديدة في حياتك.

الخلق، ذروة الإبداع، معنى الحياة

الحياة بحدّ ذاتها ليس لها معنى. الحياة هي فرصة لخلق المعاني. والمعنى لا يُكتشف، بل يخلق. ستجد المعنى فقط عندما تخلقه. وهو ليس كشيء يختبئ في مكان ما، لتحاول البحث عنه وإيجاده. إنه شعراً ينتظر من ينظمه، أغنيةً تنتظر من يغنيها، رقصةً تنتظر من يرقصها. ملايين من الناس يعيشون حياة لا معنى لها بسبب هذه الفكرة التي هي في مُنتهى حماقة: أن المعنى هو شيء نكتشفه وكأنه موجود في مكان ما خلف الستار، وكل ما عليك فعله هو أن تسحب الستار وتجد المعنى. الأمر ليس كذلك.

تذكّر أن الحكيم يجد المعنى لأنه يخلقه. أنا وجدتُ المعنى لأنني خلقتُه. ومن حُسن الحظ أن المعنى ليس بشيء يختبئ في مكان ما، وإلا لأكتشفه شخص ما - بعد ذلك ما هي الحاجة لأن يكتشفه شخص آخر؟

لقد اكتشف ألبرت آينشتاين نظرية النسبية؛ هل هناك حاجة الآن لنكتشفها مُجددًا؟ هذا سيكون أمرًا بُمُنْتهى الغباء. لقد سبق أن اكتشفها شخص ما؛ ولقد أعطاك الخريطة. ربّما تطلّب الأمر سنين عديدة من هذا الشخص ليكتشف هذه النظرية، أما بالنسبة لك فلن يتطلّب الأمر سوى بضع ساعات لتفهمها. يمكنك الذهاب إلى الجامعة لتتعلّمها.

الحكيم اكتشف شيئاً أيضاً، وكذلك زاراتوسترا، ولكنّ اكتشافهما كان يختلف عن اكتشاف آينشتاين. ما اكتشفه زاراتوسترا ليس بشيء يمكنك أن تتبع خارطة زاراتوسترا لتجده - لن تجده بهذه الطريقة. لتكتشفه، يجب أن تُصبح زاراتوسترا. هل ترى الفرق؟ لتفهم نظرية النسبية لا حاجة لك أن تُصبح ألبرت آينشتاين. كلّ ما أنت بحاجة إليه هو ذكاء متوسط.

ولكن لتفهم معنى زاراتوسترا، يجب أن تصبح زاراتوسترا. ولتفهم معنى الحكيم، يجب أن تصبح الحكيم.

إذا لم تجد أيّ معنى في الحياة، فهذا يعني أنك كنت تنتظر المعنى ليأتي إليك... لن يأتي أبداً. تلك هي فكرة الأديان في الماضي، أن المعنى موجود في مكان ما. هذا غير صحيح! الحرية هناك، تخلقها، الطاقة هناك، تخلقها. الحقل هناك لتزرع البذور وتحصد الغلّة. كلّ شيء موجود هناك - ولكن علينا أن نخلق المعنى. لهذا السبب، كان الخلق عمليةً مليئةً بالفرح، بالمغامرة، بالنشوة.

أولاً: يجب أن يُصبح الدين خلافاً.

وثانياً: يحدث بعض الأحيان أنك تبحث عن المعنى بعد أن توصلت إلى خلاصة مُعيّنة. لقد قرّرت أيّ معنى يجب أن يكون هناك. فتبدأ البحث عن معنى مُعيّن ولكنك لا تجده. يجب أن يكون البحث نقيّاً، من دون أية خلاصة مُسبقة. إذا قرّرت مُسبقاً ما هو المعنى الذي تبحث عنه، لن تجده - لأن بحثك أصبح مُلوّثاً، غير نقيّ. لقد سبق أن قرّرت.

على سبيل المثال، إذا أتى رجل إلى حديقتي مُعتقداً أنه سيجد الماس فيها، عندها فقط تصبح الحديقة جميلة بالنسبة له... وعندما لا يجد الماس، لن يجد أيّ معنى في الحديقة. هناك أزهار جميلة، والطيور تغرّد، والنسيم يتسلّل من خلال أشجار الصنوبر. ولكنه لا يجد أي معنى في ذلك لأنه قرّر أن المعنى موجود فقط في الماس. لم يجد أيّ معنى بسبب أفكاره المسبقة. ليكنُ بحثك نقيّاً، لا تنطلق من أفكار مُسبقة؛ انطلق عارياً، فارغاً ومُنفتحاً. وسوف لا تجد معنى واحداً فحسب، بل مئات المعاني. عندها كلّ شيء سيصبح له معنى. مُجرّد حِصاة مُلونة تعكس أشعة الشمس... أو قطرة ندى وحولها قوسٌ فُرحٍ صغير... أو زهرة صغيرة ترقص مع الرياح... ما هو المعنى الذي تبحث عنه؟

كان شخص يُدعى غولدستين لم يذهب إلى أي مسرح حقيقي في حياته. وبمناسبة عيد ميلاده، قرّر أولاده أن يهدوه بطاقة لحضور العرض المسرحي. في الليلة التالية للعرض، حضر أولاده لزيارته وسألوه بتلهّف عن رأيه بذلك العرض. فأجاب: «لقد كان عرضاً تافهًا. عندما كان راغبًا، لم تكن راغبة. وعندما كانت راغبة، لم يكن راغبًا. وعندما كان كلاهما راغبًا، أُسدلت الستارة.»

الآن، إذا كانت لديك فكرة مُسبقة عمّا تبحث عنه، فلن تبحث عن أيّ شيء آخر. وبسبب تلك النظرة الضيقة سيفوتك كثيرٌ من المعاني المتوقّرة. يجب أن تخلق المعنى، أن تبحث عنه من دون أي خلاصة مُسبقة. إذا تخلّيت عن معرفتك، ستكتسب الحياة فجأة ألوانًا عديدة. ولكنك تحمل في عقلك وعلى الدوام، النصوص الدينية، والنظريات والمبادئ الفلسفية... وأنت ضائع في كلّ ذلك. لقد اختلطت الأشياء ولم يُعد بإمكانك التفريق بينها. عقلك في حالة فوضى عارمة. نَظْفُهُ. أفرغهُ من كلّ شيء. العقل الفارغ هو أفضل العقول. وأولئك الذي كانوا يصوّرون لك أن العقل الفارغ هو مشغل الشيطان هم عملاء الشيطان. العقل الفارغ هو أقرب إلى الله من أي شيء.

العقل الفارغ ليس مشغل الشيطان. الشيطان لا يمكنه العمل في الفراغ، من غير أفكار. عقلك يحتوي على كثير من الأفكار المختلطة؛ ولا يحتوي على أي شيء واضح. لقد سمعت أشياء كثيرة من مصادر عديدة. وأنت تحاول أن تتذكّر ولكنك غير قادر على ذلك. لقد نسيت أشياء كثيرة وأضفت أشياء كثيرة من مخيلتك.

أثناء زيارة رجل بريطاني للولايات المتحدة وحضوره حفلة عشاء سمع المضيف يقول: «لنشرب نخب أسعد لحظة في حياتي، والتي أمضيتها في أحضان امرأة رجل آخر - والدتي.» أعجب البريطاني بهذه العبارة لشرب النخب وقال لنفسه: «يجب أن أتذكّرها وأستخدمها في بلدي.»

بعد عدّة أسابيع عاد إلى بريطانيا حيث حضر حفلة غداء في الكنيسة وطلب منه أن يُلقي كلمة شرب النخب. وبنبرة مُجلجلة توجه إلى الحضور قائلاً: «لنشرب نخب أسعد لحظة في حياتي، والتي أمضيتها في أحضان امرأة رجل آخر...»

بعد فترة صمت طويلة بدأ الحاضرون ينظرون إلى المتكلم بغضب. وكانت صديقة المتكلم جالسة يُقربه فهمست في أذنه: «من الأفضل أن تُقدّم تفسيرًا سريعًا لما قلته.» «يا إلهي» تمتم المتكلم «يجب أن تعذروني. لقد نسيت اسم المرأة.»

هذا ما يحصل. أنت تتذكر ما قاله أفلاطون، وما قاله المسيح، وما قاله أحد الأنبياء... تتذكر ما قاله هذا وما قاله ذلك، تتذكر أشياء كثيرة ولكنها اختلطت ببعضها البعض، ولم تتفوه بأي شيء من فكرك الخاص. وإذا لم تُقل ما يدور بفكرك الخاص، فلن تجد المعنى.

تخل عن المعرفة وكُن أكثر إبداعًا. تذكر: المعرفة هي عملية تجميع - لا حاجة للإبداع للحصول عليها. والمطلوب منك أن تكون مُتلقياً. وهذا ما أصبح عليه الإنسان: لقد أصبح مشاهدًا فقط. إنه يقرأ الصحف؛ يذهب إلى السينما، يجلس ويشاهد الأفلام؛ يذهب إلى مباراة رياضية، يستمع إلى الراديو أو يشاهد التلفاز... تمضي أربع وعشرون ساعة وكل ما يقوم به هو المشاهدة.

لن تجد المعنى بالمشاهدة. يُمكنك أن ترى آلاف العُشاق يمارسون الحب، ولكنك لن تعرف معنى الحب - لن تعرف معنى النشوة من خلال المشاهدة فقط. يجب أن تشارك. يأتي المعنى من خلال المشاركة. شارك في الحياة، وشارك بعمق وبكُلّية قَدْر المُستطاع. جازف بأي شيء من أجل المشاركة. إذا كنت تريد أن تعرف معنى الرقص، لا تذهب لمشاهدة الناس ترقص، بل تعلم الرقص، وكُن راقصًا. إذا أردت أن تعرف أي شيء، شارك! وستعرف معنىً عظيمًا في حياتك - ليس أحادي البعد، بل مُتعدّد الأبعاد. هذه هي الطريقة الصحيحة والأصيلة لمعرفة الأشياء.

يجب أن تكون الحياة مُتعدّدة الأبعاد، وعندها فقط يوجد المعنى. لا تجعل حياتك أحادية البعد، فإنك ستفوت على نفسك فرصًا كثيرة في الحياة. تصبح مهندسًا، وتعتقد أنك حصلت على كل شيء في الحياة. أنت الآن تنمهي بالهندسة، لقد أصبحت حياتك بكاملها مُتمحورة حول الهندسة... بالرغم من أن هناك آلاف الأشياء المتوقّرة لك، أنت تتحرّك في مسار واحد. بعد فترة زمنية مُعيّنة، ستشعر بالضجر، والملل والتعب. ستمضي مُعظم أوقاتك تنتظر ساعة الموت. أي معنى في ذلك؟

لنكن لك اهتمامات كثيرة في الحياة. لا نكن دائمًا رجل أعمال؛ حاول أن تلهو بعض الأحيان. لا نكن مهندسًا، أو طبيبًا، أو أستاذًا فحسب، كُن أشياء عديدة بقدر الإمكان! اعزف على الكمان، غن أغنية، ارقص، كُن مُصوّرًا هاويًا أو شاعرًا... حاول أن تجد أشياء مختلفة في الحياة بقدر الإمكان، وعندها ستحصل على الغنى. والمعنى هو حصيلة جانبية للغنى. سمعت عن سقراط حكاية فيها الكثير من المعاني:

بينما كان سقراط في السجن ينتظر الموت، لاحقه حلم كان يلح عليه بتأليف الموسيقى. لقد شعر سقراط أنه خدم الفن دائمًا من خلال فلسفته. ولكنه الآن وقد حفزه صوت غامض، حوّل القصص الخرافية إلى أبيات شعرية، ألف نشيدًا لأبولو، وعزف على المزمار. في وجه الموت، اتحدت الموسيقى والفلسفة لفترة وجيزة، وشعر سقراط بسعادة لم يشعر بها من قبل.

سقراط لم يعزف على المزمار من قبل. ولكن الصوت الغامض كان يُصرّ، «سقراط، اصنع الموسيقى». وحصل ذلك وهو في مواجهة الموت. لقد بدا الأمر سخيًا بالنسبة له. فهو لم يؤلف أي موسيقى ولم يعزف أية آلة موسيقية من قبل. نعم، حتى رجل مثل سقراط يمكن أن يبقى رجلًا أحادي البعد. ولكن الصوت استمر في الإلحاح، «كفى منطقتًا. قليل من الموسيقى سيحسن أحوالك، سيعطيك بعض التوازن. كفى جدلاً. اعزف على المزمار». ولقد كان الصوت مُلحًا للغاية، فلم يكن بإمكانه سوى الاستجابة.

لا بدّ من أن الدهشة قد تولّت تلامذته: «هل تملكه الجنون؟ سقراط يعزف على المزمارة!». ولكن بالنسبة لي شخصياً، حملت هذه القصة كثيراً من المعاني. من الممكن أن موسيقاه لم تكن رائعة، لأنه لم يعزف على أي آلة موسيقية من قبل. لقد كان تصرّفه تصرّفاً طفولياً، تصرّف هواة - ولكنه حقّق له بعض الرضى الذاتي. لم يعد أحاديّ البعد. ولأول مرّة في حياته، تصرّف بطريقة عفوية. ولأول مرّة في حياته قام بعمل لم يتمكّن من إيجاد سببٍ منطقي للقيام به. منذ أيام قليلة كنت أقرأ قصة عن صوفيّ:

في يوم عطلة وقد تجمع الناس للصلاة وتناول الثّربان مع المتصوّف، جاء رجل وبرفقته طفله المتخلف عقلياً. كان الرجل قلقاً بشأن الطفل، ويخشى أن يتصرّف بطريقة غير مقبولة. ولذلك كان يراقبه باستمرار. عندما انتهت الصلاة، سأل الطفل والده: «لديّ صقّارة، هل يمكنني أن ألهو بها الآن؟».

قال الوالد: «كلاً، هذا غير مُمكن. أين صقّارتك؟» أخبر الطفل والده أن الصقّارة في جيبه، وتابع الوالد مراقبة الطفل والجيب الذي يحوي الصقّارة. بعد ذلك بدأ الحضور بالرقص وشارك الوالد بالرقص وغفل عن مراقبة الطفل.

عندما كان الجميع يرقصون ويبتهلون إلى الله، أخرج الطفل الصقّارة من جيبه وبدأ ينفخ فيها. أصيب الجميع بالصدمة ما عدا المتصوّف الذي أتى إلى الطفل، وعانقه وقال: «لقد سمع الله صلاتنا، لولا تلك الصقّارة لكان الاحتفال عقيماً - كانت الصقّارة هي الشيء العفوي الوحيد، أما الباقي فقد كان طقوساً».

لا تسمح لحياتك بأن تصبح طقساً ميتاً. لتكن في حياتك لحظات غير قابلة للتفسير، أشياء غامضة لا يمكن لك أن تجد لها أسباباً منطقية. فمّ ببعض الأعمال التي تجعل الناس يعتقدون أنك مجنون بعض الشيء. إن الرجل الذي هو عاقل بنسبة 100%، رجل ميت. وبعض الجنون يُسبّب الفرح في بعض الأحيان. فمّ ببعض الأعمال المجنونة، وعندها تتمكّن من معرفة المعنى.

عن المؤلف

يتحدى أوشو التصنيف. تتطرق آلاف الأحاديث التي ألقاها إلى كل شيء، بدءاً بالمسعى الفردي إلى اكتناه الجوهر، وصولاً إلى القضايا الاجتماعية والسياسية الضاغطة التي تواجه المجتمع اليوم. مؤلفات أوشو لم تُكْتَب بل نُقِلت من تسجيلات صوتية ومرئية لأحاديثه المرتجلة إلى الجمهور العالمي. وكما يقول هو: تذكر أن أياً يكن ما أقوله فهو ليس موجّهاً إليك وحدك... أنا أتكلّم أيضاً إلى الأجيال القادمة. وصفته صحيفة «الصنڊاي تايمز» اللندنية بأنه واحد من بين ألف شخصية صنعت القرن العشرين. أما الكاتب الأميركي توم روبنز، فعده «الرجل الأكثر خطورةً منذ يسوع المسيح». اختارته صحيفة «صنڊاي ميد - داي» الهندية واحداً من عشرة أشخاص غيروا مصير الهند، إلى جانب غاندي ونهرو وبودا. وعن عمله يقول أوشو إنه يساعد على تكوين الشروط لولادة نوع جديد من البشر. وغالباً ما يصف هذا النوع الجديد بأنه زوربا بودا، القادر على التمتع بالمباهج الدنيوية لزوربا اليوناني والصفاء الساكن لغوتاما بودا معاً.

تهيمن على جوانب أحاديث أوشو وتأملاته رؤية تحيط، على حدّ سواء، بالحكمة الخالدة في كل العصور الغابرة، وما في علوم وتكنولوجيا اليوم والغد من طاقة كامنة في حدها الأقصى. المعروف عن أوشو إسهامه الثوري في علم التحوّل الداخلي مع مقاربة تأملية تقرّ بالإيقاع السريع للحياة المعاصرة. وما تفرّد به تأملاته الفعّالة مكوّن أولاً لتنفيس إجهادات الجسد والذهن المتراكمة، وبذلك يكون أسهل خوض تجربة سكون وارتخاء خالٍ من الإجهاد الفكري داخل الحياة اليومية.

لمزيد من المعلومات:

www.OSHO.com موقع إلكتروني شامل، متعدد اللغات، يتضمن مجلةً وكتبَ أوشو وأحاديثه بشكليها الصوتي والمرئي وأرشيف المكتبة باللغتين الإنجليزية والهندية ومعلومات مكثفة عن تأملاته. كما تجدون في الموقع جدول برنامج جامعة أوشو الكبيرة ومعلومات عن منتج أوشو العالمي للتأمل.

مواقع إلكترونية:

<http://OSHO.com/resort> <http://OSHO.com/magazine> <http://OSHO.com/shop>
<http://www.youtube.com/OSHO> <http://www.oshobytes.blogspot.com>
<http://www.Twitter.com/OSHOtimes>
<http://www.facebook.com/OSHO.International>
<http://www.flickr.com/photos/oshointernational>

للاتصال بمؤسسة أوشو الدولية:

www.oshointernational.com, oshointernational@oshointernational.com

منتج أوشو العالمي للتأمل

الموقع: يقع على مسافة مئة ميل أو مئة وستين كيلومتراً جنوب شرق مومباي في مدينة بون الحديثة المزدهرة في الهند. ويعتبر منتج أوشو العالمي للتأمل مكاناً متميزاً لقضاء العطلة. يمتد المنتج على مساحة 40 فداناً أو 168 ألف متر مربع من الحدائق الغناء في بقعة رائعة مسوّرة بالأشجار.

التميز: يستقبل منتج التأمل سنوياً آلاف الزوار من أكثر من مئة بلد. ويوفّر المجمع الفريد من نوعه فرصة لتجربة شخصية مباشرة لنمط حياة جديد، مع مزيد من الوعي والاسترخاء والبهجة والإبداع، ويقدم أصنافاً

متنوعة من البرامج والخيارات على مدار الساعة والسنة، منها عدم القيام بأي عمل والاسترخاء فقط. البرامج كلها تركز في رؤية أوشو لزوربا-بودا، وهو نوع جديد من البشر قادر على الإسهام الإبداعي في الحياة اليومية والاسترخاء في جو الصمت والتأمل.

التأمل: برنامج يومي كامل من التأملات خاص بكل نوع من أنواع الأشخاص، ويتضمن طرائق سلبية وإيجابية وتقليدية وثورية ولاسيما طرائق أوشو التأملية الفعالة. يجري التأمل في ما يُعتبر صالة التأمل الكبرى في العالم، وهي قاعة أوشو.

الجامعة الكبيرة: جلسات فردية، حلقات دراسية وورش عمل تتناول كل شيء، بدءاً بالفنون الإبداعية والصحة الشمولية والتحول الشخصي، مروراً بالعلاقات ومراحل الحياة الانتقالية والعمل باعتباره تأملاً، والعلوم الباطنية، وانتهاءً بمقاربة «الزّن» للرياضات والاستجمام. ويكمن سر نجاح الجامعة الكبيرة في حقيقة أن برامجها مُدَمَّجة بالتأمل ومعززة لنظرة فحواها أننا، نحن البشر، كمجموع أهم وأبعد شأناً من حالنا كأفراد.

حمام باشو المعدني: يوفر هذا الحمام الفاخر سباحة مترفة في الهواء الطلق في إطار من الأشجار والطبيعة الاستوائية. أما الجاكوزي الفسيح والمصمّم بشكل متميز وحمامات البخار وصالة الألعاب الرياضية وملاعب كرة المضرب، فيزيد جاذبيتها محيطها الباهر الجمال.

الطعام: أماكن تناول الطعام متعددة ومتنوعة، وتقدم طعاماً نباتياً غريباً وآسيوياً وهندياً لذيذاً. معظم الأطعمة تُنتج عضوياً خصيصاً لمنتج التأمل. كما أن فرن المنتج الخاص يقدم أنواعاً مختلفة من الخبز والحلوى.

الحياة الليلية: هناك كثير من أنواع الأمسيات، وعلى رأسها الرقص إلى جانب نشاطات أخرى كالتأمل تحت النجوم في ليالٍ مقمرة، وعروض متنوعة وحفلات موسيقية وتأملات في الحياة اليومية. أو يمكنك الاكتفاء بمقابلة الناس في مقهى بلازا أو التنزه في هداة الحدائق الليلية وسط بيئة ساحرة.

المرافق: يمكنك شراء حاجاتك الأساسية ولوازم النظافة والتجميل من المعرض. وفي المعرض المتعدد الوسائط تجد مروحة واسعة من منتجات أوشو الإعلامية. وهناك أيضاً مصرف ووكالة سفر ومقهى إنترنت داخل المجمع. أما الذين يهوون التسوق فنتيح لهم مدينة بون كل الخيارات، بدءاً من المنتجات التقليدية والاشنية وصولاً إلى مخازن الماركات العالمية.

الإيواء: بإمكانك اختيار الإقامة في الغرف الأنيقة لمضافة أوشو. ولإقامة طويلة الأمد اختر واحداً من حزمة برامج السكن. علاوةً على ذلك تتوفر مجموعة متنوعة من الفنادق القريبة والشقق الفندقية.

--انتهى--